مختارات من "المسلمون والحضارة الغربية"

(1) نصائح للعلماء

لم يترك الشيخ "سفر الحوالي" حفظه الله، فرصة لأحد من العلماء أن يتدارأ في الحقيقة ويقذفها على غيره، ولا أن يختفي خلف هيئة، أو يُلقي بالمسؤولية على أوهام، أو يختار قضايا للدعوة والبيان دون قضايا؛ فكان من نصائحه هذه المختارات..

نداء لأهل العلم

كما أن من واجبات العلماء لا سيما علماء أهل السنة في الرياض ومكة والمدينة وبريدة واليمن والكويت وعامة الجزيرة، ولا سيما من تسميهم القرارات "هيئة كبار العلماء" ما يلي:

منع مبررات الضعف، والانطلاق بالدعوة

- الاعتزال الفوري لأهل الدنيا بالتقاعد أو بأي وسيلة مناسبة، كما فعل الامام أحمد بن حنبل رحمه الله.
- الزهد في أي جاه أو منصب.
- الأمر بإزالة البدع والخرافة دون تأخير ولا يستشيرون في ذلك أحدا.
- الاطلاع الواسع على الجاهلية الغربية المعاصرة.
- بيان شمول الإسلام وأنه ليس فيه إسلام سياسي وآخر طقوسي.
- زيارة الحجاج والمعتمرين والدعوات الإسلامية في كل مكان.
- ترك الاشتغال بما غيره أولى منه وأهم، مثل بعض الفتاوى، وما ليس تحته عمل، والطعن في الجماعات الإسلامية دون ذكر إيجابياتها وهذا مجافاة للعدل الذي أمر الله به.
- التحذير من الإرجاء ومناظرة أهل الغلوّ بكل حرية.

القضاء وأحوال الناس

- إصلاح القضاء، وجعل الشريعة هي المرجع في كل شيء، وإحالة كل قضية إلى حكم الشرع فقط ، كما أفتى الشيخ "محمد بن ابراهيم" والشيخ "عبد العزيز بن باز" والشيخ "عبد الله بن حميد" والشيخ "محمد بن صالح بن عثيمين" رحمهم الله جميعا، وكل عالم أو داعية.

- الاشراف المباشر على كليات الحقوق، أو أقسام الأنظمة أو الإدارات القانونية، وإلغاء كل ما يخالف الشرع منها، ولا تدرَّس القوانين إلا على سبيل بيان ما فيها من عوار؛ وبذلك أفتى الشيخ "عبدالعزيز بن باز" رحمه الله من قبل.
- تغيير الأوضاع والأحوال لكي توافق عقيدة أهل السنة والجماعة حقا، ويكون ذلك فورا أو بالتدريج كما يقررونه هم.

مواجهة اليهود والدفاع عن الأقصى

- رفض التطبيع مع العدو الصهيوني، والوقوف الكامل علنا مع المجاهدين في فلسطين، والاهتمام الدائم بالمسجد الأقصى، وبيان ما ورد بشأنه من الآيات والأحاديث وتوجيه الشباب لتحريره، بدلا من قتل المعصومين.
- أن يكون لهم إعلامهم المستقل بكل وسائله، فهم ليسوا أقل من "أدمورات" اليهود لعنهم الله.(1)
- فتح باب التبرع والعمل الخيري، وحظر مراقبة الحسابات.

تصحيح الانحرافات العامة

- منع المحرمات، ومنها الربا والتبرج وما هو أشد: كالتحالف مع الكفار، والمنع المطلق للحفلات الغنائية، وفتح دور للسينما وإن فتحها المتنفذون وجب على الجمهور مقاطعتها.
- تقوية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعميم الإنكار وليس استجداء أحد أن تعود الهيئة كما كانت، فقد كانت ضعيفة، ويريدون إضعافها أكثر.
- توعية الناس بما يجب عليهم وما يجب لهم.

الصدع بمواجهة انحراف الحكام

- إصدار بيانات عن حق الرعية على الراعي، وبيان حكم الأمراء الذين "نعرف منهم وننكر(2)"، وما صح بشأنهم مثلما صدرت مؤلفات عن حق الراعي على رعيته.
- بعض العلماء سكت سابقا وبعضهم أنكر سرا، وبعضهم أقرّ بأنه لا شأن للعلماء بكذا، وبعضهم قال: "أنا لا أتجاوز نظام هيئة كبار العلماء."

حماية العقيدة

وقد آن لكم يا علماء التوحيد أن تنطقوا وتجهروا بالحق ولا تتجاوزوا الكتاب والسنة، لا سيما بعد جهر الملاحدة بأن علينا التخلي عن ابن تيمية، وقول بعضهم:

إن سبب الإرهاب هو التيمية والوهابية!

وسعى المفسدون لتغيير المناهج، وإحلال "اللاعبين" محل الصحابة والتابعين، وإحلال دولة الرفاهية محل دولة الإيمان، فماذا تنتظرون..؟

ويجب الرد على من قال:

إن مناهجنا التعليمية تعلم الإرهاب لأنها وهابية

ومن العجب أنهم أقالوا وزير الشؤون الدينية في تونس لما قال إن الفكر الوهابي هو مصدر التكفير والإرهاب، بينما قال ذلك بعض الصحفيين والكتاب في هذه البلاد، ولم أسمع أن أحدا منهم تعرض لشيء.

وقد طالب الرافضة ببناء مقامات لهم في البقيع وغيره، وذلك منشور في جريدة الحياة التي يمولها الأمير "خالد بن سلطان"، ويقول الإعلام هنا إنهم ـ أي الرافضة ـ "إخوة لنا في الوطن" ـ تبعا لمعالي وزير الخارجية! ـ و"إننا لسنا مذهبيين ولا طائفيين" مع استهداف الحوثي حسب الإعلام الرسمي والناطق الرسمي مكة واستهدفوا الرياض؛ فماذا بقي لكي تكون المعركة عقدية؟

وقد اقتضت السياسة غير الحكيمة السماح لدولة الامارات أن تبني كنيسة للنصارى وبيت نار للمجوس ولم تعترض على ذلك هيئة كبار العلماء، ولم تقطع السعودية العلاقات معها، ومن حق الإماراتي رسميا باعتباره مواطنا خليجيا التملك في أي مدينة سعودية؛ فلو أنه بنى كنيسة أو بيتا للنار لكان ذلك من حقه القانوني؟ ومَن الذي سوف يعترض عليه وقد أجاز ولي الأمر أن يتملك ويفعل في ملكه ما يشاء؟ فهو أخ شقيق خليجي كما يقال.

ونحن متبعون ولسنا مبتدعين، ومسبوقون بسير علماء الإسلام من السلف الصالح فلم لا نكون مثلهم؟.

....

المصدر" :المسلمون والحضارة الغربية" للشيخ "سفر الحوالي" (صـ 2562 إلى صـ 2565).

1- الأدمورات: الحاخامات.
2- إشارة حديث حذيفة في صحيح البخاري، رقم الحديث: 6584، كتاب الفتن، باب "كيف الأمر إذا لم تكن جماعة". تعريف مرحلة "خير وفيه دخَن."

(2) قراءة في المقدمة

من سيد قطب الى سفر الحوالي .. "المسلمون والحضارة الغربية"

قد يكون بعض المخلصين قد سبق الشيخ "سفر الحوالي" في إسداء النصح، ولكن تميز الشيخ بمباشرته وتصحيحه لمجالات كثيرة وشاملة وبتركيز في كتاب واحد أشبه بالصدمة والقذيفة الضخمة في وجه كم متراكم من الانحرافات ومواجهة جريئة لمؤمنٍ أمام الحكام..

مقدمة

سبق سيد قطب الى بيان علامات انهيار الغرب وبيان أن اتجاهه المتحتم هو الأفول، وقرر أن المستقبل للاسلام وهو أمر حتمي بإذن الله، لوعد الله تعالى من جانب، ونظرا للسنن الالهية وتجارب التاريخ من جانب آخر.. وجاء "سفر الحوالي" فنسج على الدرب نفسه وأكد المعنى.

يعيد الشيخ المجاهد الكريم "سفر الحوالي" التنبيه الى هذا المعنى في غمرة انبهار الكثير بالغرب لدرجة التشكك في عقيدتهم ورؤية أنه لا استحالة لتراجع الغرب، بل ورأوا أن قيم الغرب ـ بإباحيته وإلحاده وظلمه ـ أصبحت قيما عالمية إنسانية!! في إهانة واضحة للإنسانية وقيمها وللفطرة وخصائصها.

والصمود في وجه المتراجعين، والإقبال إبّان فورة المتخاذلين، له أجره ووزنه وثِقله.

عقبات الكتاب

لم يكن سهلا أن يكتب هذا الكتاب ولا أن يحجز له مكانا على الشبكة العنكبوتية (النت) .. فيشير الشيخ الى ما واجه من عقبات في كتابه، ومنها:

"أولاً: عقبة الفسح: وهي عقبة في غاية الصعوبة بالنسبة لي، وقد قال الموظف المسؤول -حينما قدمت إحدى دور النشر أحد كتبي للفسح ـ المشكلة ليست في المضمون وإنما هي في اسم المؤلف، فلو وضعتم اسما آخر أو مركزا بحثيا مثلا لكان الفسح بلا إشكال(1).

وأنا من عادتي دائما الكتابة باسمي الصريح ولا أرضى أن يوضع اسم غيري مكانه، ولم يكن أمامي إزاء هذه المعضلة إلا أحد طريقين:

أـ تقديم رشوة وهو ـ وإن كان أصبح معتادا في كل دائرة ـ لا أرضاه ولم أفعله مطلقا ولن أفعله.

ب- الطباعة بدون فسح، وهو ما اخترته لا سيما ونحن في عصر يهم الناس الكسب المادي وليس الالتزام بالإجراءات الروتينية، وهذا أهون علي من أن أفقأ عيني وأسير في زمرة المطبلين، وأستخدم شهادتي ومواهبي لكي أكسب رضا من شعاره ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾]غافر: ٢٩[، ومنهجه "إن لم تكن عبدا فأنت عدو، وإن لم تكن مداحا فأنت متطرف"

ثانياًَ: العقبة المادية؛ فأنا كما يعلم الجميع ليس لي عمل، بل قد حرموني حتى من راتب التقاعد الذي اقتطعوه أصلا من مستحقاتي، والحمد لله الذي أغناني بالافتقار إليه، وكرمني بأن لا أمد يدي إلى المخلوقين، على أنه لو كان لدي أموال لأنفقتها على المحتاجين لا سيما من يجاهد في سبيل الله في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، ومن يطلب العلم في هذه البلاد المقدسة.

ثالثاً: العقبة الاجتماعية؛ فأنا ابن مجتمعٍ يغلب عليه الانغلاق وتقديس الماضي دون أن يضم إلى ذلك تقدير الجديد.

رابعا: عقبة الوقت؛ فأنا لم أشرع في كتابة هذا الكتاب إلا قريبا، وعليّ أن أنجزه قبل دخول الشهر الكريم، شهر الفتوحات والانتصارات والبركات والدعوات.

أضف إلى ذلك أنني أخشى أن يفاجئني الموت كل لحظة، وقد أنذرني الله بالشيب وقد قال ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾]الأعراف: ١٨٥[، والموت عقبة كؤود(2)."

الغرب .. إنصاف للميزات وحذر من العيوب

قد يصعب على البعض ـ إن رأى حقد الغرب وتتبع حربه للإسلام ـ أن ينصف ميزاته باتزان وبدون إجحاف أو انبهار؛ لكن الشيخ يرى الأمر باتزان جيد..

"ومن العدل أن نقر أن الغرب أجود منا، ليس في الصناعة فقط، بل في النظام والسياسة والإدارة واحترام الشعوب ونصرة المظلوم، لكنه كشف عن عداوته المتأصلة للإسلام في وقائع محسوسة دفعت مثلي للكتابة عنه ومنها:

١ .الانحياز الدائم للصهاينة.

٢ .محاولات وأد أي نموذج ناجح عند المسلمين كترتيب الانقلاب بتركيا، وتقويض النمور الآسيوية.

٣ .إدخال المسلمين في نفق محاربة البعبع المفتعل "الإرهاب" الذي ضخموه حتى أنسونا غيره(3)."

المال واتجاهات السفه

والتوجه للحكام بالنصح بالانفاق فيما هو أجدى وأنفع، لا بما يفسد الأمة وينفذ مخططات الغرب في التغيير الاجتماعي العميق الذي يُخشى منه على الأجيال القادمة فتكون أموالنا سبب إضلالنا!..

"ونحن لا ينقصنا المال ولكننا نبذره وننفقه في الفساد مع شدة حاجتنا إليه، وحسب ما يعلنه المسؤولون في السعودية مثلا سوف ينفقون (٦٥ مليار دولار) أي أكثر من مئتي مليار ريال على افتتاح دور للسينما!

ألم يكن الأجدر إنفاق هذه المليارات في الإعداد للجهاد والقضاء على البطالة، وبناء المستشفيات والمدارس، لا سيما ونحن نعاني من تلك المشكلات لا سيما تردي الخدمات أو انعدامها في بعض المناطق، وهذه الدور سوف تبلغ عند نهاية رؤية (٢٠٣٠) أكثر من ٣٠٠ دار كما يقولون(4)."

دعوة للعلماء للجهر بالحق .. وما يخشونه فيه الرحمة

"ولذا أهيب بإخواني جميعا أن يبادروا إلى ذلك وأهيب بكل داعية أن يجهر بالحق ولا يبالي بالخلق، وأبشرهم بأن أخوف ما يخافونه وهو السجن يفتح الله فيه من الرحمة ما لا يمسكه أحد من البشر، وفيه من النعيم واللذة ما جعل أحد إخواننا السودانيين يرفض الخروج منه ويقول تخرجونني من الجنة إلى الدنيا!

أما الشهادة فهي أمنية عزيزة وشرف عظيم، وأشك أن ننالها إلا إذا بلَّغنا الله إياها، وما أكثر نعمه علينا ورحمته بنا، وهو الكريم المنان(5)."

جلَد الفجر يقابَل بجلَد التقي

فقد استفزه من يقر بتبجح مجيء العلمانية بسيف غربي، ولا يجد في هذا عضاضة وطنية ولا ألما قوميا..! فللمؤمن موقف أعظم وأشرف..

"وقد قرأت قول من قال: مرحبا بالديمقراطية ولو جاءتنا على ظهر دبابة أمريكية، وأنا أقول: مرحبا بإقامة الدين ولو أقيم على رقابنا ودمائنا وأشلائنا(6)"!

المتابعة للإصدارات البحثية

وما يجب أن يكون عليه العالِم في الوقت الراهن بالنتابعة لنتائج مراكز الدراسات وأرقام لإحصاءات ودلالاتها لمعرفة الواقع وفقهه ليعلم أن يتسير الأمور .. وذلك بدلا من الاكتفاء بالجانب الشرعي فقط، فمن جهل واقعه أخطأ ولا بد..

"وأنا أوصي بالاهتمام بما يصدر عن المراكز البحثية الأمريكية، فهي كما نقل محمد حسنين هيكل عن الايكنومست البريطانية "حكومة الظل الأمريكية"، وهي التي تصوغ السياسة الأمريكية وتترك التوقيع عليها للرئيس الأمريكي(7)"

منطلقات الغرب

التأكيد على منطلقات الغرب الدينية والروح الصليبية والذاكرة التاريخية له، فالمسلمون في قلب عقدته التاريخية، ويخشى من عودتهم

“فالغرب ينطلق من روح صليبية، ومن عقدة فيينا التاريخية(8)”

تحليل لشقاء الشخصية الغربية

فللانسان جوعة للدين وفقر الى الاعتقاد؛ فإن لم يقض هذه النهمة بطريقة مستقيمة وقويمة من خلال الوحي، قضاها بخرافات حديثة!!..

“وقد فر الإنسان الغربي من الخرافات المتمسحة بالدين ليقع في أحضان الخرافات المتمسحة بالعلم، ومن سيطرة رجال الدين ليقع في قبضة رجال الأعمال(9).”

من “سيد قطب” الى “سفر الحوالي”

وعلى درب سيد قطب رحمه الله في بيانه لصرخات عقلاء الغرب من موت حضارتهم وأفولها ينقل الشيخ بعض صرخاتهم ليس على وجه النبوءة منهم بل قراءة لما يحدث واتجاهات حضارتهم

“أما مرشح الرئاسة الأمريكي سابقًا عن الحزب الجمهوري “ج بوكانين” فقد كتب عن تحول أمريكا من جمهورية إلى إمبراطورية، ثم كتب كتابه المشهور “موت الغرب”، وقال إن موت الغرب ليس بنبوءة عن المستقبل بل هو ما يحدث حاليا.

وعزا “بوكانين” موت الغرب إلى سببين:

١ -التفكك الاجتماعي المتمثل في انهيار الأسرة وخروج المرأة للعمل.

٢ -الهرم السكاني الذي يعاني منه الغرب، وكثرة المهاجرين من الشرق(10).”

وعن غرورو الغرب وصلفه

وعن نظرته المتعجرفة للأمم يحذر الشيخ:

“وبذلك الغرور والافتعال آمن الغرب بمركزيته وسمى نفسه “العالم”، فإذا سمعت هذه الكلمة في نشرة أخبار مثلا فاعلم أنهم يقصدون الغرب وحده(11).”

الإقرار بالحاجة الى معبود

والبحث الدائم عن حقيقة الجوعة الروحية والخواء الذي يعانيه الغرب فيؤدي به الى اتخاذ معبودات مضحكة أو مخجلة أو محزنة!..

"وقد صرح كثير من الغربيين ومنهم "كولن ولسن" (أن الإنسان في حاجة إلى معبود)(12)"

الاتزان في المقاومة بين التهور والخنوع

وبين اليأس من قوة العدو والفشل في مقاومته، وبين التهور الموقع في مواجهة متعجلة وغير متكافئة تقضي على نبْتات النشء في هذه الأمة .. يقرر الشيخ:

"وليس البديل عن الخنوع للغرب هو إلقاء النفس في أتون اليأس ومقاومة كِبْره بقتاله، بل هذا هو عين ما يريده الغرب ويسعى إليه، لكي يبرر عدوانه أمام العالم، وإنما الحل الوحيد هو الصبر والتقوى، ومنها الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]".(13)

الإسلاموفوبيا" حالة نفسية

فهي ليست حقيقة تدفعهم للخوف، فهم المجرمون والمعتدون منذ قرون على الأمة، في اعتداء غير أخلاقي، ثم يدَّعون اليوم الخوف من الاسلام!..

"واليوم تعم الغرب موجة صليبية يسمونها "الإسلاموفوبيا"، وهي مرض نفسي يصح تسميته بالهوس الاكتئابي، وهذه "الإسلاموفوبيا" ليست عقلانية على الاطلاق(14)."

نفاق الوحش الأمريكي

فحيث لم يتخل الغرب عن نفاقه المعتاد وازواجيته المقيتة، وتدسسه مع وحشيته، يؤكد الشيخ المعنى مستشهدا بوقائع معاصرة..

"وهذا الوحش يعلن ظاهرا أن نظام بشار لا شرعية له، بينما يحارب باطنا المجاهدين في بلاد الشام إما بنفسه وإما مستخدما قوات التحالف وكلاهما سواء.

وتبعا لهذه الازدواجية تمضي السياسة الأوروبية في تأييد حكومة "الوفاق" في طرابلس علانية بينما تقاتل إلى جانب "حفتر" سرا(15)."

التجربة التركية

ينتظر الكثير نظرة الشيخ وموقفه من تجربة تركيا، وهو صاحب العقيدة المستقيمة، ليحجز مكانه مؤيدا الاتجاه الاسلامي ومثمّنا الاقتراب المتتالي بخطوات وئيدة مما يجب على المسلمين استكماله، ويقف بين الغلو والافراط ومن ينسف التجربة ويصادر عليها وينسى ميزاتها، وبين من يقدس التجربة فيغفل عن عيوبها..

"الأتراك مسلمون وأوروبا مسيحية، فكيف يطمح الأتراك في الانضمام للاتحاد الأوروبي، هل تستطيع بناء كنيسة في إسطنبول؟"

"هذا ما قالته "انجيلا ميركل" علانية، وكل المتعصبين من "دونالد ترامب" إلى "فيلدرز" يقتبسون منه وبه يوصون، فماذا سيقول الليبراليون في بلاد الحرمين بعد هذا؟ وماذا يقولون وهم يطالبون بما يسمونه "الحرية"؟

فيا أيها الليبراليون متى تفيقون؟ وأنتم ترون المرأة تقود السيارة في تركيا والصحافة هناك حرة وفيها معارضة حرة، ويمكن للمعارضين أن يكفروا أو يلحدوا ويمكن لهم أن يشربوا الخمر ويأكلوا الختزير ويعروا نساءهم، وليس فيها هيئة للنهي عن المنكر..

فكل ما تطالبون به مجتمعنا المحافظ موجود في تركيا، ولكن الغرب لا يرضى بهذا بل يريد منا أن ننسلخ من ديننا ويتخذكم مطية لذلك.

فهل أنتم تحاربون الإسلام وليس بعض المظاهر لدينا؟ وتصدقون ما قاله فؤاد زكريا "ليس لليبراليين مشروع، مشروعهم هو هدم مشروع الإسلاميين(16)!"

"وأنا مع أنني لست ضد التجربة التركية الفذة لا أبرئها من الأخطاء، فنحن البشر جميعا نخطئ عدا محمدا صلى الله عليه وسلم، وكيف لا يخطئ من في برلمانه وشعبه كثير من العلمانيين والقوميين ودستوره علماني؟

والنظام الرئاسي ليس لأردغان وحده بل هو لكل رئيس يأتي بعده، وهو نظام غربي معروف تنتهجه فرنسا وأمريكا التي ليس فيها رئيس للوزراء مطلقا(17)."

ضرورة معرفة التفاصيل

"بعض التحليلات التي يراها فؤاد جرجيس وخطار أبو ذياب وعبد الناصر العايد وحسن أبو هنية صحيحة، ولا بد للمسلم من تأملها جيدا، على أن من الضروري فيما أرى اقتناء إصدارات مركز الزيتونة.

وينبغي معرفة نقاط الاتفاق بين بوش الجمهوري الأبيض وبين أوباما الديمقراطي الأسود، لا سيما وأن أوباما أصبغ على حملة بوش الصليبية صبغة أخلاقية وقانونية، وحول القيم الأمريكية من كونها قيما غربية ـ كما قال بوش ـ لتكون قيما إنسانية مشتركة، لكي يجذب العالم لمحاربة ما يسميه الإرهاب بدلا من مبدأ بوش القائل: "من لم يكن معنا فهو ضدنا."

أما الإعلام السعودي ومن يظهر فيه، فقد جعلوا أوباما شيطانا وترامب ملاكا!

كما يجب دراسة التاريخ وأخذ العبر منه، وهذا ما وعاه بعض الأمريكيين جيدا، فإن امتناع أمريكا عن إرسال جنود إلى البر العربي، إنما جاء بعد الهزيمة المنكرة التي أنزلتها بهم المقاومة العراقية التي لا يسميها المسؤولون الأمريكان هزيمة بل يقولون "تجربة سيئة" و"محاولة فاشلة" و"خطأ استراتيجي" .. إلخ، ولكن المفكرين الأمريكيين يسمونها هزيمة(18)."

آفات قومية وديمقراطية

ليست صورةالديمقراطية وردية كما يرغب أن يرى الأقزام في بلادنا، بل فيها من الآفات الشيء الكثير مما يشتكي منه الغرب وتضر بمصالحه كثيرا..

"وكما أن الأزمة عميقة في أمريكا هي عميقة في بريطانيا وفي الغرب كله، فقد أثبت الاستفتاء على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أن الدوافع القومية والوطنية أقوى من الدوافع العقلية والعلمية، كما أثبت أن الديمقراطية حين تجعل للخبير الاقتصادي ومدير إحدى المؤسسات المالية صوتا يعادل الفلاح الجاهل هي مجحفة حقا(19)."

إنصاف وتوزان

وكما حاول الشيخ رحمه الله أن يلتزم العدل مع القريب والبعيد، والموالي والعدو؛ فهو يحاول الانصاف وبيان من ليسوا على شاكلة التعصب الغربي، ومن يتخفف من الروح الصليبية ويلتزم شيئا من الحياد..

"ومن العدل الذي أمرنا الله به، القول بأن في الغرب منظمات كثيرة ضد التعصب، بل هي بحكم حريتها هي التي تفضحه، وهذه المنظمات إما يسارية، وإما حقوقية تدافع عن الديمقراطية وحرية التعبير وتكره العنصرية والتعصب، وصدق الله في قوله عن أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقد كان في اليهود أيام النبي حيي بن أخطب وفيهم أيضا عبد الله بن سلام(20)."

ولا زالت لنا عودة مع قراءة أخرى في كتاب "المسلمون والحضارة الغربية" إن شاء الله تعالى..

نفع الله به المسلمين، وأوصل الله القول للغافلين فارتدعو، وأيقظ الله الغافلين فانتبهوا..

....

1. " الفسح" هي خدمة تقدم من وزارة الاعلام لمؤلفين ولدور النشر، لتسهل عليهم رفع المطبوعات التكتورنيا، ومتابعة ملاحظات المراقبين وتعديلها حتى إصدار إذن الطبع.. كما يتيح الحصول على (ردمك) وهو الترقيم الدولي للكتاب للحفاظ على حق المؤلف أو الناشر.
2. "المسلمون والحضارة الغربية" صـ5-6
3. نفس المصدر ، صـ 8.
4. نفس المصدر، صـ 9.

5. نفس المصدر، صـ 30.
6. نفس المصدر، صـ 30.
7. نفس المصدر، صـ 38.
8. نفس المصدر، صـ 43.
9. نفس المصدر، صـ 49.
10. نفس المصدر، صـ 55-56.
11. نفس المصدر، صـ 61.
12. نفس المصدر، صـ 62.
13. نفس المصدر، صـ 65.
14. نفس المصدر، صـ 94.
15. نفس المصدر، صـ 114.
16. نفس المصدر، صـ 114-115.
17. نفس المصدر، صـ 115.
18. نفس المصدر، صـ 116.
19. نفس المصدر، صـ 116-117.
20. نفس المصدر، صـ 117.

(3) قراءة في نصح العلماء

ملوك فوق الملوك .. "المسلمون والحضارة الغربية"

لبيان الاسلام المطلوب أمريكيا، وأنواع شرك التشريع والقصور، رفض التفريط في السيادة على الدين والجغرافيا والمقدرات، ومواجهة انحراف الأموال والأثرة.. كانت كلمات الشيخ "سفر" في كتابه" **المسلمون والحضارة الغربية** "في صيحة عالِم في وجه الانحراف(1)..

المقدمة

تنتظر الأمة دوما دور علمائها، لينيروا لها الطريق، ويتقدموها اليه.. تنتظر الأمة من علمائها ألا ينعزلوا، ولا أن يخفوا نصائحهم ويُسروا بالحق، ولا أن يخفوا الحق أو يتداروا فيه، بل أن يصدعوا بالحق ويواجهوا الانحراف؛ مبلغين رسالات الله، ومؤدّين واجب إرث النبوة، ومع تعدد مجالات الانحراف كان واجب النصح والتفصيل بلا تلعثم.

كانت الأمة طوال تاريخها تجتمع عل علمائها واليوم أيضا تنتظر دورهم الكريم..

الإسلام الأمريكي .. سِلمي منعزل

أوضح الشيخ حقيقة الاسلام الأمريكي الذي تريده أمريكا وتدعو اليه وتُظهر الرضا عنه..

"وواجب علماء الإسلام هو بيان مخالفة الإسلام الإلهي للإسلام الأمريكي، الذي يسمونه "المعتدل"، وماذا تكتب بشأنه مؤسساتهم مثل مؤسسة "راند"، وخزانات الفكر ومراكز البحوث التي تقارب الألفين، وما يقوله أو قاله رؤساء أمريكا عن الإسلام.

فالأمريكان يريدون الإسلام السلمي المنعزل، الذي ينشغل ببعض الأمور، مثل توزيع المصاحف أو تعظيم الكعبة أو إقامة الموالد أو بعض الشعائر دون فهم لمضموناتها، ذلك الإسلام الذي قرره مؤتمر جروزني وأيده بعض المغفلين، والذي ينص صراحة على أن الوهابية والإخوان ليسوا من أهل السنة، فماذا يريد علماؤنا الأفاضل أوضح من ذلك؟ وأين الردود المستفيضة على ما قرره القوم؟

فيجب على علماء الإسلام الاستقلال عن التبعية لأمريكا وأوليائها، وأن يقوموا لله بالقسط سواء وافق الحكام أو خالفهم(2)."

شرك القبور، وشرك القصور

ليس الشرك وجها واحدا، ولا بابا واحدا، فهو مُحرَّم بحدِّه، وأبواب الانحراف فيه كثيرة، ومنها ما يغفل عنه الناس، بل ويغفل عنه الدعاة، ولا يتكلم فيه من آثر الصمت من العلماء؛ فأوضح الشيخ شرك القصور الذي يتغافل عنه المتغافلون ويَضل به الكثيرون وتخسر به الأمة قوتها ومقدراتها..

"أهم ما يجب على العلماء والوعاظ بيانه، هو حقيقة الشرك وأنه ليس نوعا واحدا أو نوعين بل هو سبعون بابا كالربا، وقد صحح الشيخ الألباني حديث «الربا سبعون باباً والشرك مثل ذلك» في صحيح الجامع وصحيح الترغيب والترهيب، وقد رواه ابن ماجه والبيهقي، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: "رواه البزار"، وفي بعض الروايات «الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك» ومن الأحاديث الحسنة قوله «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل»، والمقصود أنه أنواع كثيرة.

وقد سمعت أحد طلبة العلم يقول: كل من لم يدع الأموات عقيدته صحيحه. فقلت: لا، فهذا نوع من أنواع الشرك فأين الأنواع الأخرى المذكورة في القرآن مثل شرك التعظيم وشرك التسوية، وشرك الطاعة، وشرك التشريع، وشرك الشفاعة..؟(3)"!

"لكن لا يصح الاشتغال بأحد نوعي الشرك وترك النوع الآخر أعني شرك القبور وشرك القصور، ومن أنواع الشرك أن يتخذ المشرك غير الله معبوداً يطيعه ويتبع أوامره(4)"..

[للمزيد :لماذا الدعوة الى الله]

النفاق وولاء الكافرين .. آفة الزمان

ولمّا شاع في المتأخرين و"المنتسبين" للتوحيد والسنة آفة ولاء الكافرين، ظاهرا بالتحالف والقتال معهم، وباطنا بالتآمر والتنسيق ضد المسلمين وقضاياهم، كان واجب التنبيه نحو هذه الآفة وما تستلزمه من النفاق الأعظم..

"ومن الشرك المخرج من الملة النفاق الأكبر، واتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وانظر كيف أن إبراهيم الحنيف عادى أقرب الناس إليه، وأمر الله ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملته ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾)آل عمران:95(.

وكذا شرك الشك الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل، هذا عدا الشرك الأصغر الذي هو أيضا أنواع أعظمها الرياء.

ومن الشرك في هذه الأيام الفصل بين الدين والحياة أو أي شيء، وهذا مشابه لقول المشركين قبل الإسلام ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾)الأنعام:136(5)."

أسوة في أهل العلم

لم يهمل الرموز المعاصرون من العلماء جانب السياسة أو الشأن العام عن التصحيح وبيان حكم الله تعالى فيه، حتى يأتي المتأخرون فيقرون بفصل هذا الجانب عن هذا الدين..

"نعم، لكلٍ تخصصه كما كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله متخصصا في الفتيا والقضاء، لكن لم يهمل الجانب السياسي قط، وعلى هذا سار تلميذه الشيخ عبد العزيز بن باز(6)."

ملوك فوق الملوك

من استقام من أهل العلم فمكانته فوق الملوك؛ إذ هم الموجهون للملوك والأمراء، والاقتصاديين، والمجتمع بأنشطته المختلفة، وهم الموضحون لهم الضوابط لما يُرضي الله وحدودَ محارم الله؛ فمكانتهم سامية منيفة..

ويربأ المؤمنون أن يصبح أهل العلم موظفين؛ يأخذون الإذن والكلمات من تحت إذن السلطة التي يُفترض أن يوجّهوها للحق ويواجهوا انحرافها..! فتنقلب الأوضاع ويصبح العلماء ألعوبة في يد الملوك؛ لهذا وجب النصح..

"كما أنه لا يصح أن يكون أهل العلم مجرد موظفين عند السلطة، أو جزء مكملا للسلطة التنفيذية، ولا أن تكون فتواهم تبعا لما يرى الساسة.

ونحن حين نتحدث عن أي مشكلة ومنها مشكلة التبعية للغرب وحضارته نصطدم بمن ينسبون كل مصيبة للعلماء، ولذلك وجب النصح لعلمائنا الأجلاء وبيان ما قد يخفى عليهم من أمور تشغلهم عنها أعمالهم الكثيرة، وأذكرهم بمنزلتهم وقيمتهم عند الناس، التي ربما لم يدركوها، إما مبالغة منهم في التواضع، وإما لأنها لا تبلغهم.

قد هيأوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

وعلى علمائنا الأجلاء معرفة قدر أنفسهم وقدر علمهم فهم الملوك على الملوك، وهم فوق كل السلطات وأن يصونوا علمهم(7)."

"فهم موقعون عن رب العالمين، وهم الذين يفتون المسلمين، وهم الأدلاء إلى جنة عرضها السماوات والأرض، ويجب على كل أحد أن يطيعهم ويستجيب لأوامرهم، ولهم حسنات كثيرة إن استقاموا(8)."

توبة أهل العلم في البيان

ولما كانت كلمة الحق من العالِم ترشد أمةً وتهدي الملايين وتبقى دهورا، وكانت كلمة الضلال منهم تُضل أمة وتهلك الملايين وتبقى أيضا ما شاء الله أن تبقى؛ كانت توبة من انحرف منهم واجبة، ومن توبتهم وتمامها بيان الحق والتراجع عن إخفائه.. عوض البيان عن معوَّض الكتمان.

"فجعل الله ثلاثة شروط وهي:

١ -التوبة: وهي أول المنازل وآخرها، وإليها يفتقر كل عبد، إذ لا يخلو من الذنوب أحد منّا.

٢ -الإصلاح: وبه يعصم الله أهله والأمة من الهلاك، فمن كان صادقا في حب الأمة ومن كان مخلصا في قوله إنه يريد الصلاح، فليفتح المجال لأهل الإصلاح، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾)هود:117.(

٣ -البيان: فلا يترك العلماء بدين الله حاكما ولا محكوما ولا صغيرا ولا كبيرا، إلا بينوا له الحق، ودعوه إلى أمر الله(9).”

[للمزيد :تجديد البدايات]

من “العلمانية” الظن بأن المساجد بنيت للصلاة فحسب

تضغط السلطات الواقعة في التبعية للغرب في ترسيخ العلمانية وتنحية الاسلام وشريعته عن الحياة بطرق شتى، حتى استجاب لها من غير شعور بعضُ المخلصين؛ فوجب التنبيه الى صورٍ قد لا يراها الناس علمانية، بل يرون أنهم استوفوا ما أُمروا به بينما هم واقعون في آفة هذا الزمان!..

“وينبغي لعلماء المسلمين ـ وفقهم الله لكل هدى وخير وصلاح ـ أن يحذروا من هذه العلمانية الجديدة، التي لا يقولونها باسمها الصريح، بل يسترونها باسم حدود الوعظ والإرشاد، تلك الحدود التي يرسمها كل مخبر حسب هواه، وربما انتدبوا مخبرا من أجهل الناس، لكي يكتب عن عالم فاضل، فيقرر أنه خرج عن حدود الوعظ والإرشاد.!

والشيخ محمد بن إبراهيم وكذا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله لم يكونوا يؤمنون بهذه الحدود، وكذا كل عالم من السلف، ومن هذه العلمانية الظن بأن المساجد إنما بنيت للصلاة فقط(10).”

نصائح مفصلة

قدم الشيخ نصائح أربعين مفصَّلة تتناول انحرافات الواقع بمشاكله الواقعية؛ منها:

- حظر تقسيم الناس إلى إسلاميين وإسلامويين.
- إحياء الشورى الحقيقية وأن يكون كل إنسان حراً فيما يقول كما يقرر ذلك أهل العلم والتقوى لا أهل المديح والتزلف.
- توسيع صلاحيات رجال الحسبة واستقلالهم، مع مناصحتهم إن رأينا منهم خطأ، وبيان أسلوب الدعوة لهم
- ندعو إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله في كل صغيرة وكبيرة، ونؤمن أن في ذلك علاجا لكل أمراضنا، وأن ما عند الغرب من خير في قوانينهم فإنما أخذوه من الفقه الإسلامي.

- نعلن الحرب على كل من يتعرض لنبينا محمد بالأذى ونعاديه شرقاً أو غرباً، وأقل ذلك أن نقاطعه كلية، ونجزم أنه هو "الأبتر."
- يجب أن نقيم حدود الله على الأمير والحقير، والصغير والكبير، والشريف والوضيع، والغني والفقير.
- نشترط فيمن يبتعث، أن يكون متمكنا من دينه مستعليا بالإسلام، وقد أعدم "ميكادو" اليابان من تشبع بالأفكار الغربية من أوائل المبتعثين اليابانيين ولهذا نهضت اليابان ماديا مع أنهم مجوس.
- العمل على أن يتحد المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ونتيح بل نوجب الدعوة إلى الله في كل دولة، ولا نكتفي بأن نبني المساجد أو نوزع المصاحف، فإن هذا وحده علمانية مخالفة للإسلام، بل ندعو إلى دين الله كله في كل مكان، ولا نؤمن بالعلمنة.
- منع المغريات والملهيات، لا سيما دور السينما والجنون الكروي، والمعازف والمسلسلات، فهي فوق ما تشتمل عليه من المحرمات، تلهي عما هو أولى، وكيف نلهو والمسلمون من حولنا تفتك بهم الأمراض أو يضطرون للهجرة من ديارهم.
- استقلال القضاء، إلغاء الدياثة والاختلاط في أي مكان(11).

[للمزيد من هذه النصائح :مختارات من "المسلمون والحضارة الغربية" (1) نصائح للعلماء]

إيقاف المِنح الظالمة

تخصيصات القوم بأموال الأمة، وعدم التفريق بين المال الخاص والمال العام، والذي ينبغي ألا يتجاوز حدوده أحد، أميرٌ كان أو ملِكٌ، إلا بحساب، ولا يتعدى على حق الأمة فيه.. تلك آفة وجب النصح بشأنها مهما كانت العواقب، بذْلاً للنصح من أجل الله تعالى..

"نلغي كل منحة تخالف الشرع من الأراضي أو من النفط أو غير ذلك، فلا يعقل مثلاً أن يملك أحد أرضاً طولها أكثر من (٤٠٠) كليو متر وعرضها (١٥٠) متراً، أي بقدر الطريق من مكة إلى المدينة.

كما لا يعقل أن نشتري الأرض اليوم بما كنا نشتري به القصر بالأمس، ولا يصح أخذ المال بذريعة الإعانة على الحبوب.

وكم من مشروع تعطل أو تأخر بسبب تعويض الأرض غير المملوكة لأحد، كما لا يعقل أن يدعي أحد ملكية أرض مطار الدمام ويُعطَى ١١ مليار، وإذا رضي بتقسيطها صفق له مجلس الوزراء."!..

لا يُبتز الناس بالمسجد الحرام

بعد أن كان يفخر أهل الجاهلية بحماية المسحد الحرام وتأمين من قصَده، وعدم منع أحد منه وُضعت قيود واستُخدم لأغراض دون ما أمر الله تعالى به؛ ولهذا كانت النصيحة أن..

"نفتح بيت الله الحرام للمسلمين كافة، ولا نمنع منه أحداً في ليل أو نهار، والشرط الوحيد أن يكون مسلماً، ولا نفتشه ولا نرحّله ولا نبحث عن هويته ووطنه."

سيادة الدين، والجغرافيا

ذلك الألم الذي لم ينته منذ قرن من الزمان.. السياد المنتقصة .. والسماح لنصارى الغرب بالتدخل في شؤون المسلمين ومناهجهم، واقتصادهم وقوانينهم، بل وأراضيهم، لا يرضاه مسلم ولا يقرّه إطلاقا؛ فالواجب..

"إخراج اليهود والنصارى من "جزيرة العرب "وليس من الحرمين فقط، وبذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم وأفتى علماؤنا قديماً وحديثاً. ومن جزيرة العرب الجزر التابعة لها كجزيرة البحرين أو سقطرة أو دهلك أو فيلكه كما نص الشافعي(12)."

"تحريم انتهاك السيادة، ومن السيادة التي لا يجوز انتهاكها أن ننظر بكل دقة وحرية وكما يقرره العلماء المتقون في البنوك الأجنبية (الأمريكي والبريطاني والفرنسي والهولندي) وأيّا كانت، وكذلك الشركات بأنواعها فما كان من ذلك موافقاً للشرع أُقرّ وما كان مخالفاً أُلغي، وتكون للمسلمين خاصة.

ولا يجوز حماية البنوك وضمان بقائها، وأن تكون الرواتب والتقاعد والمكافآت عن طريقها ضماناً لها، وعلى البنوك المركزية ومؤسسات النقد أو وكالاته أن تشجع البنوك الإسلامية وتلغي غيرها(13)."

إقامة الحق والصدع به لا ينافي التدرج

يعلم الناصح الشفيق مقدار الانحراف وبُعد المسافة، ولهذا لا يعتسف الخطوات، ولا يتغافل عن طاقة الناس، ولهذا يعتمد التدرج، لا ادّعاءا ولا خديعة للمسلمين، بل بدلائل الصدق والتوجه نحو التصحيح الجاد..

"لا تقتضي ضرورة الإصلاح أن نغير كل شيء طفرة واحدة إن لم نستطع، فنحن نؤمن بالتدرج، كما فعل رسول الله ، ولكن يجب توفر النية الصادقة في الإصلاح، والبدء بما هو في الإمكان، مع ترتيب العداوات كما ذكر الله ورسوله وسار عليه الأئمة، وحسبنا أن نحيي كل يوم سنة ونُميت بدعة(14)."

....

1. المسلمون والحضارة الغربية، الشيخ سفر الحوالي، صـ 2475.
2. المصدر السابق، صـ 2478.
3. المصدر نفسه، صـ 2480.
4. المصدر نفسه، صـ 2478.
5. المصدر نفسه، صـ 2479.
6. المصدر نفسه، صـ 2482.
7. المصدر نفسه، صـ 2483.
8. المصدر نفسه، صـ 2484.
9. المصدر نفسه، صـ 2489.
10. المصدر نفسه، وهي من صـ 2494 الى صـ 2507.
11. المصدر نفسه، صـ 2504.

12. المصدر نفسه، صـ 2506.

13. راجع: المصدر نفسه، وهي من صـ ، 2494 الى صـ 2507.

(4) قراءة في نصح العلماء

حائل دون شهوات الملوك .. ‘‘المسلمون والحضارة الغربية’’

بين آثار الصحوة، ووجوب الجهر بالحق، والأمر بالحيلولة دون انحراف الملوك، وبيان التناقض بالإنكار على علماء السُنة دون الرافضة، والتذكير بخطأ حرب اليمن، وضرب المثل بمن باع الملوك كالعز بن عبد السلام تقلبت صفحات الشيخ ‘‘سفر الحوالي’’ في ‘‘المسلمون والحضارة الغربية’’

حائل دون شهوات الملوك

للملوك أهواء وشهوات، وضلالات وغوايات؛ ففي يدهم قدرة، وفي زماننا يقعون تحت سلطة الغرب فيقعون في التبعية له، والغرب بدوره يشترط عليهم شروطا ليقر ملكهم؛ إذ له أدواته التي بها يتحكم في اختيار الملوك وفي التأثير على سلوكهم وسياساتهم، ومن هنا ذكّر الشيخ بصورة أخرى يجب أن يكون عليها أهل العلم ممن اصطفاهم الله تعالى لمواقف الزمن والتاريخ..

‘‘ينبغي أن يكون أهل العلم حائلا دون ما يريده أصحاب الشبهات والشهوات من الحكام فمن دونهم، فإن المأمون قال: (لو قد مات يزيد بن هارون لأعلنت القول بخلق القرآن)، وفعلا أعلنه المأمون لما مات يزيد، وأجاب كثير من الناس، ووفق الله الإمام أحمد تلميذ يزيد بن هارون لمعارضة ذلك وتحمل رحمه الله الأذى والجلد(1).’’

بيانات في سياقها لا لتبرير الجرائم

ولما أن علّم الله تعالى العلماء قاعدة الذرائع، وأمر بسد الذريعة الى المحرم، كان من الفقه ألا يتحدث العالِم بأمر هو من دين الله لكن يُخرجه عن سياقه، وهو يعلم أن الحاكم سيقتطعه من سياقه ويستعمله فيما حرم الله بل في حرب المسلمين والتعدي على حدود الله.. وضرب الشيخ مثالا بحديث العرنيين الذي قتلهم رسول الله قصاصا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم لأنهم فعلوا هذا براعي رسول الله وارتدوا.. وقد أنكر الحسن البصري على من حدّث الحجاج بهذا الحديث لأنه يستعمل هذه العقوبة ضد المسلمين بل وضد خيرة الأمة..

‘‘أعوذ بالله أن تكون بيانات هيئة كبار العلماء مثل تحديث الحجاج بحديث العرنيين، فالبيانات ذاتها حق وأحق منها حديث العرنيين، ولكن لا يحدث به عند الحَجاج(2).’’

مواكب الأمراء

ينعم الغرب الصليبي بتواضع مسؤوليه الذين يخلصون في خدمة شعوبهم ويعاني المسلمون من فخامة أمراء ينهبون أموال الناس!..

"يجب عليكم إنكار كل منكر ومن ذلك منكرات المواكب الرسمية، إذ لا يصح حبس الناس لمرور المواكب، ومن أراد إخفاء شخصيته فليتلثم ويتنكر بما شاء، وأعظم التخفي هو المساواة، فتكون سيارة المتخفي كسيارة آحاد الناس، ويسير بينهم كواحد منهم(3).

تناقض يُضعف الانتساب للحق

للانتساب لدولة التوحيد والشريعة لوازم فإذا غابت اللوازم وحضر عكسها أنكر الناس وكذبت الدعوى..

"من التناقض أن نقرأ هنا أن من ينضم للقاعدة أو الدولة الإسلامية خارجي، وفي الوقت نفسه نقرأ مطالبة الرافضة بإقامة المقامات في البقيع والمعلاة، ونقول إن هؤلاء الروافض إخوة لنا في الوطن، ومنهم النخاولة، ومع هذا كله نقول إننا أصحاب العقيدة ودولة التوحيد، التي تحكم بشرع الله وتقيم دينه(4)"!

مصلحون على منهاج النبوة

ما يقوم به العلماء ليس دورا ترسمه لهم الأنظمة الغربية، بل هو دور موروث عن النبوة وموكبها الأصيل..

"واعلموا ـ حفظكم الله ـ أن عهد المجاملة قد انتهى، وجاء عصر الصراحة والوضوح، فأوضحوا الحقيقة للحكام وللشعب، وبينوا لهم ما في كتاب الله وسنة رسوله، وبينوا لهم لماذا يتضجر الناس، وبينوا الحكم الشرعي في أهل البدع قديمها وحديثها، وكيف ينبغي دعوة أهل الكتاب، والمؤمنين لترك قشور هذه الحضارة الزائفة، وبينوا أن العلمانية ليست من ديننا في شيء، وزوروا الحُجاج ـ إن لم تكونوا تفعلون ذلك ـ وبينوا لهم العقيدة الصحيحة، واهدموا أماكن الفجور وآثار البدع، ولا تنتظروا إذنا من أحد، فأنتم الملوك على الملوك، وأنتم الموقعون عن رب العالمين.

ونحن نقول خصوصا للإعلاميين الغربيين -الذين يزوروننا وبعضهم يقول إنه مدير وكالة كذا، وبعضهم يقول إنه من قناة كذا الأمريكية «إننا لسنا معارضة ـ كما يظنون ـ بل نحن ناصحون مصلحون نحب الخير لكل الناس، ونسير على منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، كما في القرآن الكريم، ونحرص على أمن الحاج والمعتمر والزائر وكل إنسان، ونحن لا نريد الحكم والمناصب الدنيوية، وقد أعطانا الله ما هو خير منها(5)"..

وعْدٌ غير مكذوب

وعْد الله ورسوله حق لا يتبدل، لكن له ميعاده الذي يستقر فيه، وشروطه المهيئة له، ومن الله الإعداد والإمداد.. وشعار المؤمن «وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت.«

"ومهما قيل إن العودة إلى الله اليوم لا تزال ضعيفة أو هشة فالمستقبل لها بإذن الله تعالى، والواجب علينا هو التوكل على الله، ونشر دينه في العالمين والثقة في الله وترك العجلة.

وسوف يفتح المسلمون "روما" كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ... ولا غرابة فقد سبق أن دفعت روما الجزية للمسلمين زمن الإمام أحمد(6)."

قد ينكرونك اليوم لكن غدا سيعرفون

لا تسير الأمور كما ترى عينك اليوم، ففي عيوننا قصور، وقد نقرأ الأحداث على وجهٍ خطأ؛ فالصمود والثبات والاستمرار يؤدي أن يعرفك مَن أنكرك وأن تفيء اليك الجموع، هكذا يذكّر المؤمن إخوانه ويُهديهم عبرة من قريب..

"حدثني سكرتير الشيخ بن باز رحمه الله أن الحضور عند الشيخ كانوا أربعة أو خمسة ولما رجع الشباب إلى الدين صاروا بالآلاف.

كما حدثني بعض العلماء أن الشيخ محمد العثيمين رحمه الله كان شبه مجهول في بلده "عنيزة" ثم أظهرته الصحوة المباركة، وصار يحاضر في مكة والمدينة وجدة والرياض والدمام وغيرها، وجاءته الدعوات من كل مكان، وجاءه التلاميذ من دول تعد بلاداً بعيدة.

وأنا صليت التراويح بالمسجد الحرام ولم نكن حينها نتعدى ثلاثة صفوف(7)".

النصح خير وليس فتنة

لا تتغير النصيحة من نصح وخير الى أن تصبح فتنة بمجرد تسمية الرافضين لها بهذا، بل ستبقى هي الصيحة والخير المبذول..

"وليس إنكار المنكر ـ عندي ـ خروجا ولا معارضة ولا ثورة، ولا إثارة للفتنة ولا يضاد اللحمة الاجتماعية، وليس افتئاتا على ولي الأمر كما قد يقال، وإنما هو واجب شرعي على كل مسلم بقدر استطاعته(8)."

في الفتن الكبرى سقطوا

يقف البعض مفتونا بكلمات لا يعرف سياقها ومدلولها وظروفها، فيرى النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة ومفسدة..! غافلا عن المفاسد التي ينكرها المنكرون والناصحون والتي ستودي بالأمة بأكملها..! في تناقض عجيب ينبه اليه العلماء المتحررون من رق الرغبة وأسر الرهبة..

"وقد يظن بعض الناس أن قول الحق فتنة وإثارة، وينسى ما تعيشه الأمة اليوم من الفوضى في الفتوى، والغلو في الأحكام، وإنما السقوط في الفتنة هو ترك الشبهات والشهوات تفتك بالناس، والأمة اليوم تنتظر ما يقوله علماء

السعودية لتعمل به، فماذا تقول هيئة كبار العلماء هنا في المسجد الأقصى مثلا، وماذا تقول في المواقف الأمريكية والفيتو الأمريكي؟ وماذا تقول في التشبه بالكفار؟ وماذا تقول في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تهمّ المسلمين في كل مكان؟(9)"

قيام الأحزاب الإسلامية

ينكر الغرب علينا ما يرضاه لنفسه، فينكر الأحزاب التي تحترم الهوية الإسلامية وتتبنى الشريعة الربانية، على أنها خطر وإرهاب، بينما يسمح بإقامة الأحزاب التي تحترم هويته وديانته!..

"نحن واقعيون جدا، إذ لا نطلب من الحكام في هذه المرحلة، إلا بأن يكونوا كالغرب الذي فيه أصولية نصرانية وأحزاب تسمي نفسها مسيحية، وألا يسجن أحد بتهمة الانتساب إلى "حزب الأمة" مثلا، نعم نحن نقول إن المسلمين كلهم حزب الرحمن، وإننا أمة واحدة ولكن قيام الأحزاب عند المسلمين حق إنساني، وهو خطوة لقيام الأمة الواحدة ووسيلة لا غاية، وهو من حرية الرأي والفكر التي أتاحها الإسلام، وما لم يستخدموا العنف لذلك فأي منكَر فيه؟(10)"

وعْد "أرناط" وقبر رسول الله

لم ينس الغرب حلقاته الصليبية السابقة، بل ما يحدث اليوم امتداد لكن القوم غافلون، وهذا بعض من بيان هذا..

"فلما وافقت السعودية دون استشارة العلماء على أن تأتي فرقة من الجيش الأمريكي إلى المنطقة الشرقية كما قال "بيكر" و"تشيني"، تدفقوا بفرق كثيرة زادت على المليون جندي، ونزلوا في الرياض وجدة والطائف والخميس وينبع، وليس في المنطقة الشرقية فقط، وحملتهم الخطوط السعودية في الدرجة الأولى، واختار الصليبيون الجدد الطريق البرية من ينبع مرورا بالقصيم لكي يمروا قريبا من المدينة النبوية ويوفوا بنذر أرناط "أرنولد"
الذي أسر أخت صلاح الدين الأيوبي، ووعد بتدمير قبر محمد صلى الله عليه وسلم، وأقسم صلاح الدين إن ظفر به أن يقتله بيده (11)."

حرب اليمن

أخطاء حرب اليمن يعاني منها المسلمون في اليمن والسعودية..! والتناقض مخجِل، والنتيجة مؤلمة..

"وقد كانت عاصفة الحزم موجهة لاسترداد صنعاء من الانقلابيين، فأصبحنا نخاف على جازان ونجران؟ بل على الرياض والديوان! حتى القمة العربية تقام في المنطقة الشرقية ولا تقام في الرياض خوفا من صواريخ الحوثيين.

وكيف يكون الجيش المقابل أكثر من الجيش السعودي في عدد الدبابات، أما المعنويات لدى الجيش فهي هابطة لدى الكثير منهم، بل إن بعضهم يتهرب بدعوى أنه مريض أو مصاب، بحاجة إلى العلاج في المستشفيات وكيف تكون المعنويات عالية والجيش يحارب قوما يزعم عادل الجبير أنهم إخوانه وجيرانه؟ أما الغرب فيريد إطالة الأزمة كي يبيع السلاح للطرفين(12)"

خطر التحول الاجتماعي

يحدث تحول اجتماعي خطير في الأخلاق والأسرة والمرأة وعلاقة الجنسين.. ومثله خطر عقدي، لا يرضى به مؤمن ولا يقره عالِم ولا يسكت عنه صاحب حميّة..

"وفي نظري القاصر يجب على العلماء مقاومة التبعية للحضارة الغربية ومقاومة غزو الغرب ومن ذلك إنكار هذا التحول الاجتماعي الكبير نحو العلمانية، وبيان حقيقة التوحيد وأنواع الشرك العصرية والموروثة(13)."

"وليست مهمة العلماء هي الإعجاب بما شاهدوا في المتحف الوطني، بل السؤال عن صنم" نسر" الموجود فيه وإنكار ذلك(14)."

شبهة الإنكار سرا تعارض النصوص

لما كان للحاكم ذنوبه الشخصية كان لها أن تُنكر سرا، وأما الانحراف العام والخط المجتمعي الخطير، وما يجاهرون به؛ فحقيقٌ إنكاره، لكن قامت شبهة تداولها خُدام الملوك أنه لا يُنكر عليهم إلا سرا، فكان لا بد من بيان حقيقة الأمر الشرعي في هذا..

"وهذا مقتضى بيعته صلى الله عليه وسلم لأصحابه ليلة العقبة أن يقولوا بالحق أينما كانوا ولا تأخذهم في الله لومة لائم.

ولا يتعارض هذا مع ما ورد عن بعض السلف في الإنكار سرا كما روى ابن أبي عاصم وغيره، فإن الذنوب السرية تنكر سرا لا سيما إن كانت شخصية لا يتعدى ضررها، أما المنكرات العلنية فتنكر علنا، ولكل مقام مقال.

وبذلك عمل فقهاء الإسلام، فقد أراد العز بن عبدالسلام بيع سلاطين المماليك في مزاد عام، وأفتى ابن تيمية بقتال التتار علنا، وكذلك قاتل الرافضة والنصيرية في كسروان وجبال النصيرية.

ولما اختبر معاوية الناس وقال " المال مالنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا حرمناه " أنكر الناس عليه علنا وهو على المنبر، فحمد الله على ذلك، وقال للمنكر عليه "أنقذتني أنقذك الله" وأمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر لما قال له المفتش الإداري "محمد بن مسلمة": "والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بالسيوف" قال عمر: "الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا اعوججت قوموني"، وأمر بإحراق باب سعد بن أبي وقاص وحانوت رويشد الثقفي.

والإحراق كما هو معلوم لا يكون إلا علنا وتبقى آثاره طويلا، وقال له سلمان الفارسي وهو على المنبر: "لا سمع لك ولا طاعة!"

وقال أبو بكر الصديق في أول خطبة له: «إذا زغت فقوموني، أطيعونا ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم(15)."«

ترتيب العداء

مع الوضوح العقدي للمسلمين فهناك سياسة شرعية وترتيب للعداء والإفادة من تضارب مصالح الكفار والمبتدعة، لا أن يتحجر الناس في الفهم أو تنقلب عداءاتهم على نحو مخلٍ..

"يقتل الرافضُة بعض اليهود كما قتل قزمان بعض المشركين، والله ينصر دينه بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، وربما كان الرافضة مظلومين اعتدى عليهم اليهود والله ينصر المظلوم على الظالم، بغض النظر عن عقيدة المظلوم وكفره أو فجوره(16)."

حذر مبكر

يجب على العلماء رؤية خط الانحراف من مبدئه وعدم تركه للتمادي.. وما نراه اليوم من خطأ مستفحل قد سبقه تفريط كبير..

"كل نتيجة لها مقدمات، فقبل أن يزور أنور عشقي الدولة الصهيونية كان قد بدأ يمدح (نتنياهو) وزار مندوب "معاريف" الرياض، وسكتت عنه هيئة كبار العلماء، ثم زار عشقي الأرض المحتلة، وأعلنت الجهات الرسمية أنه لا يمثّلها، فماذا تنتظرون وإلى متى السكوت؟(17)"

استعادة دور أهل الحل والعقد

لما كان على العلماء العودة الى الأصول وألا يقروا ما قرره الملوك مما يخالف حق الأمة في الشورى كان لا بد من التذكير بدور أهل الحل والعقد الذين يمثّلون الأمة ويقومون بدورهم الذي صار ينكره البعض اليوم..

“لماذا لا ننص في النظام الأساسي على أن أهل الحل والعقد يختارون الأصلح للحكم وفق كتاب الله وسنة رسوله وعمل الخلفاء الراشدين والسلف الصالح، ألسنا على عقيدة السلف؟ ألسنا متبعين للسنة؟! أم أن الشورى حرام والحكم الوراثي حلال؟(18)”!

بدائل واسعة

وكلما أنكر عالِم مخلص أو فئات من الأمة حصر المغرضون الأمر بين الفوضى أو ابتلاع الشرور بقضّها وقضيضها؛ فكان التذكير بأن في الأمر بدائل أخرى لو كانوا يعقلون!..

“ما الدليل على أن الأمر دائر بين تكفير الحكام أو إقرارهم على كل شيء أو بين الثورة عليهم أو طاعتهم بإطلاق لأنهم ولاة أمر؟ وأن الإنكار عليهم خروج؟(19)”

فساد الأموال يظهر في الميدان

ولما رأى الناس انكشاف الجيوش المنتسبة لدول غنية، بينما هم مهددون من ميليشيات فقيرة صار التساؤل لما وراء اختلال الميزان..

“أين تذهب ميزانية الدفاع إذا كان الحوثيون أكثر عددا في الدبابات؟ وإذا كانت السيارات والأسلحة هنا قديمة؟ والكمامات من مخلفات الحرب العالمية الأولى؟ وكيف يحتاج من يقود الشاحنة العسكرية من تبوك إلى الرياض إلى أن ينوم في المستشفى(20.”!

خاتمة

بعين البصيرة وبالوعي السياسي والمتابعة للواقع والأحداث والقراءة الصحيحة، وتنزيل العلم الشرعي على محله الصحيح ومناطه المنضبط؛ بهذا تظهر الفروق بين عالِم يؤدي رسالة وآخر يستأكل أجرا..

وبهذا يظهر السبب لِم تبقى كلمات دهورا، وتذهب أخرى أدراج الرياح.. لقد بلغ الرجل ما استطاع فتقبل الله منه، وبلّغ تعالى النصح لقوم يتقون.

....

1. المسلمون والحضارة الغربية، الشيخ سفر الحوالي، صـ 2513.
2. المصدر السابق، صـ 2516.
3. المصدر نفسه، صـ 2522.
4. المصدر نفسه، صـ 2526.
5. المصدر نفسه، صـ 2527.
6. المصدر نفسه، صـ 2531.

7. المصدر نفسه، صـ 2532.
8. المصدر نفسه، صـ 2533.
9. المصدر نفسه، صـ 2538.
10. المصدر نفسه، صـ 2540.
11. المصدر نفسه، صـ 2541.
12. المصدر نفسه، صـ 2560.
13. المصدر نفسه، صـ ٢٥٦١.
14. المصدر نفسه، صـ 2568.
15. المصدر نفسه، صـ 2571 – 2572.
16. المصدر نفسه، صـ2580.
17. المصدر نفسه، صـ ٢٥٨٤.
18. المصدر نفسه، صـ2591.
19. المصدر نفسه، صـ2593.
20. المصدر نفسه، صـ2594.

(5) آل سعود، من "مطاوعة" الى التطبيع مع اليهود

من أصلهم كـ "مطاوعة" الى أوضاعهم الحالية.. ثمة تاريخ لآل سعود، وشرعية، وأحداث وانحرافات، آلت الى أن سيطر عليها الليبراليون الملاحدة. وثمة أفُق يلوح لا يسُر مؤمنا، ولهذا كان النصح في مجالات عديدة..

مقدمة

لم يتوقف الشيخ "سفر الحوالي" في النصح عند مستوى دون آخر، ولم يجعل لنفسه خطوطا حمراء إلا ما حرم الله.

لقد انطلق الرجل في نصحه، ويبدو أن عينه على دار غير هذه الدار. وهذا مصدر قوة للمؤمن.

ومن هنا ناصَح الحكام في أمور البلاد والعباد، ودين الأمة، وترتيب الأعداء، وغيرها بلا محاشاة موضع، حتى تناول اسم المملكة وانتقده، واقترح ما يجتمع عليه الناس، بل وتناول أحقية آل سعود بالحكم.. فتقبل الله منه نصحه، وحفظه.

وهنا نعرض جُملا مما كتب حفظه الله..

نصحٌ عن قرب

"ليست علاقتي بآل سعود عابرة بل هي عميقة وشخصية، وبعضهم جالسته مرارا منفردا به كالملك سلمان قبل أن يصبح ملكًا، ووزير الداخلية الأمير نايف، ثم الأمير محمد بن نايف، وكثيرا من الأمراء جالستهم أيضا(1)."

النظر الى الأوضاع العامة، وقيمتها

"وكون الإمام يصلي أو يصوم أو يحج، هذا شأنه وبينه وبين ربه ولن أتعرض له، وإنما يهم الناس أمران هما "العدل والأمن"، بمفهومهما الإسلامي وذلك ما عبر عنه حسان بن ثابت:

وما الدين إلا أن تقام شرائع ... وتأمن سبل بيننا وهضاب(2)

تعديل التقييم

"وكيف نطمح إلى أن نكون في مصاف الدول، التي يجب أن تكون هي في صفنا ونسميها متقدمة وهي متأخرة، لا قيمة فيها للعرض ولا للشرف، وتدعي أن الله هو المسيح ابن مريم وتقول إنه تعالى اتخذ ولدا، ونحن نقرأ في القرآن أنه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾)الجن:3 (﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: ٣)(3)."

آل سعود .. حالة استثنائية

"وأرجو ألا تخدعكم مرونة هذا الشعب فتحسبوا أن السكوت رضا، فهو غالبا عن صبر واضطرار، والناس يخشون ما يسمونه القبضة الحديدية، وإن كان قول الحق لا يقرب أجلا ولا يؤخره.

وأنتم حالة استثنائية، فلستم من قريش التي ثبت النص في كون الملك لها، أي بالأحقية والاختيار، ولستم من حمير التي يؤول الملك إليها إذا فسد الزمان، وأصبح الحكم بالغلبة والاضطرار، وقد أثبتت الأحداث ضرورة تعديل السياسة السعودية الحالية(4)."

كثيرا ما اتُهم الناصحون

"قد يقال لكم إن الذي كتب هذه النصيحة "مطوع مهبول" وما أشبه ذلك، وهذا دأب كل من يرفض الحق ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾)الذاريات:52(5)"(

[للمزيد :أما "سفر الحوالي" فقد أعذر إلى الله]

لا تغرنكم المياه الراكدة!

"واعلموا أن للصبر حدوداً وأن الصابر مهيأ للانفجار، وكم من صابر ساخط، وأن بعض مقربيكم المدعين حبكم، إنما ذلك لمصلحتهم المادية، ولو انقطع عنهم الراتب شهراً واحداً لظهرت لكم حقيقتهم(6)."

توجيه التحول نحو الإسلام

"وكلنا نتفق الموافق منا والمخالف، الأسرة الحاكمة والمعارض لها، على أن السعودية اليوم تعيش تحولا وأنها على مفترق طرق، فلماذا لا يكون التحول باتجاه الإسلام ولا يكون الطريق هو الصراط المستقيم؟(7)"

مفرق طريق، وحجة العلمانيين الساقطة

"والسعودية على مفرق طريقين لا مناص لها من سلوك أحدهما، إما طريق الإسلام المستلزم نفي أن تكون السعودية دولة علمانية، وهذا ما ننصح به وأسبابه كثيرة جداً.

وإما أن تنضم لركب العلمانية وترضي أمريكا وإسرائيل والإمارات، أي إما فسطاط الإيمان وإما فسطاط النفاق، وإذا اختارت الفسطاط الثاني لا قدر الله وجعلت الإسلام ينسلخ من السياسة الداخلية كما هو منسلخ من السياسة الخارجية، فلنتوقع انتقام الله وغضب الشعب وردة فعله..

وإذا تذرع العلمانيون بحرية الرأي، قلنا لهم حرية الرأي مكفولة إسلاميا، ويجب إقامة الإسلام الرباني، وليس لدينا حرية ردة، والإسلام يؤخذ من مصادره وليس من أخطاء فلان أو واقع علان، وليست حرية الرأي في الإسلام بدعا، فهي معروفة متاحة منذ نزول القرآن واستمرت إلى عصرنا هذا، وكثير من فتاوى هيئة كبار العلماء السعودية غير إجماعية بل يكتب المخالف رأيه في الفتوى نفسها.

أما من بدل دينه فعقوبته القتل، ومن ذلك سب رسول الله بأي شكل، ومن سب الصحابة فعقوبته التعزير، وكل دول العالم تتيح الحرية في حدود قانونها ونحن قانوننا هو الشرع.

وأما الرخاء والتطور الاقتصادي، فهو فرض كفاية على المسلمين، ويجب علينا تنمية بلادنا ماديا، مع بقائها محافظة اجتماعياً ولا يتعارضان قط(8)."

هَوى قِلّة يدمّر أمة!

"والإسلام لا يرفض التحديث والتقدم الحضاري، لكن ليس من التحديث والأساليب العصرية والديمقراطية، أن تسير المملكة وفق هوى القلة الليبرالية الضئيلة، التي لو حسبناها مع دشيرها ومستأجريها لا تبلغ قط ١% من الشعب(9)"!

العودة الى الأصل .. "مطاوعة"

"أنتم أسرة متدينة أصلا أي بحسب الاصطلاح الدارج "مطاوعة"، ويغشّكم من يشير عليكم بغير ذلك، ومصدر شرعيتكم هو الدين وليس العلمانية ومن تدين من الأسرة أحبه الله وخلقُه(10)."

التكنولوجيا .. وأبسط الحقوق!

"كيف نقول إن كل شيء سيكون إلكترونيا ونسعى لإنشاء ما يسمى الحكومة الإلكترونية (الأوامر والقوانين والوظائف والشهادات والوكالات) الخ أي بأعلى المستويات الكمالية، وعندنا مناطق تفتقر إلى أبسط الضروريات كالكهرباء مثلا.

وبعض المحافظات ليس بها مستشفى، وبعضها تنقطع عنه الاتصالات والانترنت. وفي بعض المناطق يركب الناس الحمير أميالا كثيرة للوصول(14).''

الحذر من دور ''الإمارات'' للحد من قدرة السعودية

''استقِلّوا في سياستكم الخارجية عن دولة الإمارات التي تقرب كل أهل البدع ما عدا من تسميهم الوهابية، والتي ـ كما تعلمون ـ نادت من قبل بضرورة التخلص من الأسرة السعودية والدعوة الوهابية، وتدعي أنكم تحتلون جزءاً من أرضها!

وقد أثبتت مقدرتكم الأخيرة على جمع أكثر من رئيس خمسين دولة لمقابلة (ترامب)، على أن في إمكانكم جمع العالم الإسلامي وتوحيد كلمته، وهذا ما تقتضي خطة أمريكا الحيلولة دونه مستخدمةً دولة الإمارات(15).''

وحدة المسلمين خير من سياحة فاجرة وتعاون صهيوني!

''وعموماً لا يجادل عاقل، في أن كسب قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، خير من إنفاق المليارات على المشروعات السياحية لتنويع مصادر الدخل، ومنها المشروع الكبير المسمى (مشروع البحر الأحمر)، ومشروع (قديّة) ومشروع (نيوم)(16)''..

''وإن الاتعاظ بما جرى للآخرين ليدفعنا دائما إلى التفكير السليم قبل اتخاذ أي خطوة، فماذا جنت مصر من سواح شرم الشيخ لكي تنشئ السعودية (نيوم)؟ وكيف يعطينا الله هذه الملايين التي تفد إلى بيته الحرام للعمرة والحج، إجابة لنداء أبينا إبراهيم، واستجابة من الله لدعوته، ونعزف عنها مهتمين بمشروعات خياليه ذات جذب سياحي كما يقال، أليس هذا من عمى البصيرة وسوء التخطيط..؟(17)''

الاستعانة بالظلمة متلطخي الأيدي

''ماذا قدم حبيب العادلي وزكي بدر لأهل مصر حتى تستشيرهم السعودية وتجعلهم في المراتب العليا وتعطيهم مرتبات لم يكونوا يحلمون بها؟

ومن كانوا يحاربون هناك؟ وكيف نأمن بذلك من انتقام المصريين ودعواتهم..؟(18)''

[للمزيد :المسلمون والحضارة الغربية .. كتاب أم شهادة]!

مناقشة أمر عدم إغلاق المحلات أثناء الصلاة

"ولذلك وجب على من لديه علم أن يتكلم مستشهداً على ذلك بالأدلة الصحيحة، لا ردا على ما يقترحه الليبراليون فحسب، فالنقاش معهم إنما يكون فيما هو أهم، وهو أيهما المقدم الربح الدنيوي أم العمل للآخرة، وهل التسليم لله ورسوله حق؟

وهل يجوز التقديم بين يدي الله ورسوله؟

وهل للمؤمن الخيرة إذا قضى الله ورسوله أمرا، وهل المسألة رأي قابل للنقاش أم شرع يجب الالتزام به؟

ومن كان غير مؤمن بالثوابت فليقل بصراحة إنه ملحد وإنه ضد الدين وإنه شاذ عن الوطن!

وأول ما يجب قوله وتنبيه الحكام إليه، هو أن الهدف من كلامهم المغرض ليس التوفير المادي كما يزعمون، بل هو إسقاط الشرعية عن الحكومة، واستهداف بقية المؤسسات الدينية، وزحزحتها عن آخر معاقلها"

ثم ناقش الأمر بعد ذلك مفصلا من الناحية الشرعية(19)..

الحط من مكانة البيت الحرام

ناقش الحط من مكانة البيت الحرام عند الليبراليين وطلاب الدنيا لصالح الغرب والسفر اليه أو لصالح التجارة(20).

رفادة البيت الحرام اليوم

"ونحن اليوم نطالب بإنشاء مطاعم وفنادق مجانية للحجاج."

"وقد يستغرب بعض الناس كيف نطالب بأن تكون مكة والمدينة مفتوحة لكل مسلم دون تفتيش مع دعوانا للتنظيم الذي يقوم به أهل العلم وحدهم، فنقول"...

ثم ناقش ذلك من خلال أمر الله وقدَر المملكة وكون المستقبل للإسلام بينما النفط الى النضوب(21).

لماذا الدين مع اتهامات التطرف والإرهاب

فناقش أهمية الدين ودوره للفرد، والمجتمع الداخلي وترابطه، وفي مكانة الأمة بين العالَم؛ وهي مكانة منوطة بالإسلام، فهذا قدَر هذه المنطقة، وهذه الأمة(22).

"إنما توحد أكثر جزيرة العرب على العقيدة والمنهاج ونشأ عن ذلك الوحدة الفكرية العامة والوحدة السياسية القائمة اليوم، ولم تتوحد بالمصطلحات الانهزامية مثل (الغير، الآخر، غير المواطن) والناس إنما يعرفون القسمة الثنائية (مسلم، كافر) كما في كتاب الله(23)"..

"ولا يزال مصدر الشرعية في هذه البلاد هو الدين، وبه يتخدّر الناس إذا أراد منافق أن يخدّرهم(24)."

"فيجب عليكم يا آل سعود الحرص على الدين والتمسك به، والتعميم على كل القنوات والصحف والمواقع بأن تترك اتهام أهله بالإرهاب والتطرف والأصولية والطائفية والماضوية والظلامية(25)"..

خطأ الطاعة المطلقة لولي الأمر

"هذا ويستدل بعض الناس على الطاعة المطلقة لأولي الأمر (الحكام(، وربما على السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحديث (وإن جلد ظهرك وأخذ مالك.(

وأي شيء ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس، وله السمع والطاعة، والخير دائما فيما يختاره الله ورسوله، ولا نرد شيئا من السنة لأنه يخالف هوانا عياذا بالله فهذا شأن أهل الأهواء والبدع.

وإنما المسألة أولا هي في ثبوت ذلك وسلامته من المعارض الصحيح له.

ثم كيف نفهمه فهما صحيحا، ونترله على الواقع تتريلا صحيحا، وماذا قال عنه العلماء، ولا نلوي أعناق النصوص لتوافق رأينا أو مذهبنا أو ما يقوله سادتنا وكبراؤنا.

وعلى ضوء ما قرره جهابذة الحديث وأهل مصطلحه نقول وبكل حيادية:

١ -هذا الحديث رواه الإمام مسلم رحمه الله في المتابعات، وليس في الأصول عن حذيفة رضي الله عنه.

٢ -قال الإمام الدارقطني عن هذا الحديث: "هذا عندي مرسل، لم يسمع ابن سلّام من حذيفة، ولا من نظرائه الذين نزلوا العراق فهذا يدل على إرساله" أي أن الحديث عند الدارقطني منقطع ومعلول.

والحديث حسنه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله لشواهده، ولكن ليس فيها هذه الزيادة.

على أن بعض الإخوة السلفيين قال: "إذا ضعّف الألباني أخذنا به أما إذا صحح فلا"، أي أن تصحيحه يقبل الصحة وعدمها.

وقال بعض الإخوة السلفيين أيضا: "أما أنا فلا أرضى أحدا أن يأخذ مالي ولا أن يجلد ظهري"، أي أنه سوف يعمل بحديث «لا تدعه يأخذ مالك»، وغيره مما سنذكر إن شاء الله.

٣ -هذا الحديث معارض بما لاشك في ثبوته وبعضها في الصحيحين، ومن ذلك:

أ- قول الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾)النساء: ١٤٨(، والجهر بالسوء يستلزم ذكر المرء بما يكره ومنعه من الظلم لمن قدر عليه بلا مفسدة، ومن ذلك ما يكتب اليوم في المواقع أو ينشر في الصحف أو يقال في الفضائيات، والمهم هو لزوم العدل وقول الحق.

ب- حديث مبايعته صلى الله عليه وسلم لأصحابه على أن يقولوا بالحق أينما كانوا، وهذا ما كان يفعله عبادة بن الصامت في سوق دمشق وجامعها.

ج- حديث مبايعته صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم، وهذا ما فعله جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

فترك قول الحق وترك النصح من الغش الذي نهى عنه الله ورسوله، ولا تعارض بين الطاعة وقول الحق.

د- قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما بلغه أن بعض الأئمة يريد أخذ أرضه (الوهط) بالطائف، فلبس سلاحه وأمر غلمانه بلبس السلاح للدفاع عن الأرض ، وذلك منه إعمال لحديث «لا تدعه يأخذ مالك»، وحديث «من قتل دون ماله فهو شهيد»، الذي رواه البخاري ومسلم"..

ثم أكمل بقية توجيهات أهل العلم بين التضعيف وبين توجيه الحديث بما لا يتعارض مع الأصول، ومنها أن المعنى وإن أخذ مالك بحق وجلد ظهرك في حد(26).

قدَر بلاد الحرمين

"اعلموا أن قدر هذه البلاد هو الإسلام كما أنزله الله، وليس الإسلام الأمريكاني الذي يسمونه معتدلا، ولذلك يجب إخضاع كل وزارة أو هيئة أو مجلس إدارة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوْا عن المنكر﴾)الحج: ٤١(27) "(

....

1. المسلمون والحضارة الغربية، الشيخ سفر الحوالي، صـ 2733.
2. المصدر السابق، صـ 2735.
3. المصدر نفسه، صـ 2736.
4. المصدر نفسه، صـ 2744.
5. المصدر نفسه، صـ 2745.
6. المصدر نفسه، صـ 2746.
7. المصدر نفسه، صـ2747.
8. المصدر نفسه، صـ2748.
9. المصدر نفسه، صـ 2750.
10. المصدر نفسه، صـ 2750.

11. المصدر نفسه، صـ 2755.
12. المصدر نفسه، صـ 2756.
13. المصدر نفسه، صـ 2756.
14. المصدر نفسه، صـ2758.
15. المصدر نفسه، صـ2760.
16. المصدر نفسه، صـ2761.
17. المصدر نفسه، صـ 2752.
18. المصدر نفسه، صـ 2763.
19. المصدر نفسه، من صـ 2767 الى صـ 2769.
20. المصدر نفسه، من صـ 2769 الى 2775.
21. المصدر نفسه، صـ 2777 الى صـ 2778.
22. المصدر نفسه، صـ 2791- 2794 .
23. المصدر نفسه، صـ 2801 .
24. المصدر نفسه، صـ 2802 .
25. المصدر نفسه، صـ 2811.
26. المصدر نفسه، صـ 2811 – 2816.
27. المصدر نفسه، صـ 2816.

(6) من العقد الاجتماعي الى سياسة الأموال

شغلت القضايا المجتمعية مساحة كبيرة في نصائح الشيخ ''سفر الحوالي'' فتناول العقد الاجتماعي للمملكة من منظور شرعي، ـ ولك يغفل قضايا المسلمين ـ وناقش عقود النفط الظالمة ثم التوزيع الجائر، وسُمعت من كتاباته أنَات المحرومين ورؤيت دموعهم..

اسم المملكة لا ينبغي أن يكون باسم أسرة

''والذي سمى المملكة بهذا الاسم الحالي هو فؤاد حمزة الذي كان درزيا ثم أشهد عند موته أنه عاد لعقيدة أهل السنة، كما ذكر زميله خير الدين الزركلي في ''الأعلام.''

والمسلمون لم يسموا أنفسهم محمديين كما سمى النصارى أنفسهم ''مسيحيين''، ولم يسموا المدن التي اختطها عمر بن الخطاب (العمرية) مثلما يقولون: مدينة صدام سابقا، أو مدينة الصدر حاليا، والعزيزية، والفيصلية، والناصرية، والمشعلية، وليس تغيير الاسم بجديد على لاعالم، بل كثير من ـ الدول غيرت اسمها(1).''

''وأنتم هنا شكلتم لجنة لذلك لا يزال بعض أعضائها أحياء، ولا تزال قراراتها محفوظة، فاقترحت اللجنة تسمية الدولة (المملكة الإسلامية المتحدة) مثلا، ومع أن أمريكا اسم لكل قارات العالم الجديد، فقد استأثرت به الولايات المتحدة.

فيجب إحياء ذلك والتسمية باسم جامع تلتئم عليه الأمة(2).''

''وآل سعود أسرة كريمة من هذه الأمة المباركة، وإن شئت فقل هي قبيلة من قبائلها، ولا يجوز أن تنتسب الأمة كلها لها، لا سيما وأن تاريخ هذه البلاد غير ذلك، وأعظم رجالها بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم الخلفاء الراشدون، ويخطئ من يقول إنهم سعوديون كما سمعت بنفسي(3).''!

إهمال جهد العلماء ونصحهم

لا قول لمن لا نفاذ لرأيه وللمن لا يُسمع له ويُطاع، ولهذا نبه الشيخ الى جهد العلماء وإهمال الدولة له.

''ومن الفتاوى غير المعمول بها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1. الفتوى بشأن منع الكفار من دخول جزيرة العرب.
2. الفتوى بشأن الابتعاث.
3. الفتوى بتحريم قول شهيد الواجب.
4. الفتوى بشأن مسلسل (طاش ما طاش)، والمسلسلات الضارة.

5. الفتوى بشأن تعظيم الآثار(4) .''

الميثاق القديم والحنث العظيم

''أما الميثاق فهو ما حدث بين الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وبين الأمير محمد بن سعود رحمه الله، فهناك في قلب الصحراء بعيدا عن السلطة المركزية في اسطنبول، تعاقد الكتاب والحديد، والقلم والسيف، على الدعوة إلى التوحيد وإقامة الدين على منهج السلف الصالح، وقامت دولة التوحيد على عمودين متساندين، وهو تجربة من تجارب الإصلاح والتجديد المتنوعة التي يجب دراستها بعمق وحياد.

ولما كان من غير سنة الله أن يظل العمودان على حالهما، فإن أسوأ ما يُتوقع هو انهيارهما معا، وسبب الانهيار دائما هو الركون إلى الدنيا حيث يفقد العالِم عزة الاستغناء عن السلاطين، ويقع الحاكم في ذل العبودية لشهوة السلطة، ثم إن لكليهما سببه المستقل، وفي التاريخ نماذج كثيرة للجدلية الدائمة بين العلماء والأمراء عند افتراق القرآن والسلطان، فكلما كان العالم أتقى وأقوى كان استعلاء الحق أظهر، وكلما كان الحاكم أدهى وأقوى بدون عالم، كانت صولة الباطل أغلب.

إن عنصر الضعف في هذه التجربة هو أن بقاء الكيان مرتبط بوفاء السلطان للقرآن، وهو أمر غير مضمون، كما دلت التجارب التاريخية الكثيرة، لأن الأصل هو التوحد وليس التقاسم(5).''

قضايا المسلمين

''ولا يجوز القول بأن قضايا المسلمين شأن داخلي، كقضية ''الشيشان'' و''أراكان'' و''إفريقيا الوسطى'' وغيرها، أو تركها ''للأمم المتحدة'' أو الدول التي كانت مستعمِرة لمحل التراع.

ويجب دينا محبة الأتراك ومساعدتهم سياسيا وماديا، وبذل المال لمن وقف مع الدولة العثمانية ضد الانجليز، كأهل حائل الذين رفضوا أن تمد بريطانيا سكة حديد بين البصرة ويافا، وكان يحكمهم محمد بن عبد الله الرشيد، الذي ظن كثير من أهل نجد أنه المهدي لما كان في عهده من الأمن والرخاء(6).''

عقدنا الاجتماعي

''ليس عقدنا الاجتماعي خيالا تخيله ''روسو''، ولا افتراء يفتريه ''هوبز''، وإنما هو بيعة شرعية واقعية جربها الخلفاء الراشدون، وكتب شروطها أئمة الإسلام المعتبرون، مثل الماوردي ونظام الملك وابن تيمية.

وآن لنا أن نبدع ونجدد فالحكيم العليم سبحانه أرشدنا إلى القواعد الكلية وترك لنا التفصيلات بحسب المكان والزمان رحمة منه غير نسيان، ولكي نحقق العقد الاجتماعي كما أمر الله وجاء في شريعته الغراء علينا أن نستلهم ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح، وأن نكفر بالمذاهب الغربية، كالديمقراطية مثلا نيابية أو مباشرة، فلسنا في حاجة إليها لا فلسفة ولا آلية.

وإنما نحن في حاجة إلى الإفادة من تجارب الأمم في السياسة والإدارة والنظم، نأخذها أخذ المعتز بإيمانه المستعلي بدينه(7) .''

الخوف من انبعاث الاسلام

''ومثلما خاف الغرب أن يُبعث الإسلام من جديد على يد ''الإخوان'' خاف أن تثور الشعوب على أفكاره فينبعث من جديد، وهكذا خافوا من امتداد'' الربيع العرب''ي كما يسمونه إلى بقية المسلمين، وهذا الخوف مع غيره جعل الأمريكان يبدؤون في التخلي عن المنطقة وجعل الروس يعلنون الانسحاب من بلاد الشام، قبل أن يحل بهم ما حل في أفغانستان.

وجعل الشعوب في الغرب تراجع مواقفها مع إسرائيل، فالكل يعلم أن الشعوب تكرههم(8).''

مشروعية جماعات الدعوة والعمل الاسلامي

''وقد قرر الشاطبي رحمه الله أن الاجتماع على غير السنة خارج عن معنى الجماعة.

وهذه الجماعة ليست حكرا على أحد، بل ينبغي لها اجتماع الأئمة الربانيين الذين يخشون الله ولا يخشون أحدا إلا الله.

ولما تحطمت السفينة الكبرى السائرة على منهاج النبوة، كان لا بد للمسلمين من زوارق صغيرة يلجأون إليها، فكانت منهم جماعات، لكل جماعة منهج وأسلوب في الإصلاح.

وبعض الناس ينتظر توحد الأمة على يد المهدي أو عيسى بن مريم، لكن المهدي وعيسى ابن مريم لا يعملان في فراغ ولابد من التهيئة لهما والإعداد لقدومهما(9).''

إصلاح الموقف من تركيا حاضرا وتاريخيا

''احظروا أي تهمة إعلامية للأتراك، لاسيما مقولة ''الاستعمار التركي'' أو'' الاحتلال التركي''، وهل يساوي مسلم بين من يحب الله ورسوله مهما كانت بدعته وبين من يضع كتاب ''الفرقان الحق'' ويحرق القرآن، ويزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتر كذاب، وأن الدين الصحيح هو التثليث وليس التوحيد، الخ ما يؤمن به من يسمى الحليف الاستراتيجي(10).''!

حرب اليمن.. حذر، واستفهامات

"أنصحكم لا تتورطوا في اليمن ثانية، فمن يحكم اليمن إنما هو كمن يرقص على رؤوس الثعابين كما قال" المخلوع"، وسلطة القبيلة أقوى من سلطة الدولة، والقبيلة ليس لها ولاء ثابت وإنما هي لمن يدفع أكثر، وكراهية السعودية متأصلة عند اليمنيين، ولما كنا في اليمن خرج في إحدى المدن مظاهرة تقول "يا سعودي يا يهودي."

وأنا لما كنت في أمريكا صليت بهم الجمعة مرغما في ديترويت، وبعد الصلاة قام أحد اليمنيين وقال: "حتى هانا باتحكمنا السعودية"!

وقد قال بعض قادة الجيوش نستطيع أن ندخل صنعاء، ولكن جاءتنا الأوامر بالتوقف(11)."

"وانفصال الجنوب في اليمن تؤيده دولة الإمارات، و"عبدربه منصور هادي" اشتراكي، ويقولون إن تواطؤه هو السبب في دخول الحوثيين إلى صنعاء، وأنتم أعلم به، لكن لا تدرون ماذا يبيّت؟(12)."

ظلم الوافدين

"الذي يبدد الثروة الوطنية ليس تحويلات الوافدين كما يزعمون، بل هم السعوديون السواح الذين ينفقون مئات المليارات في الخارج، فمن أراد أن يحافظ على الثروة فعليه منع ذلك(13)."

في المال والميزانية والأزمة الاقتصادية

"قد يأتي اليوم الذي يكتب فيه الدارسون لمرحلتنا هذه أن أكبر هدر في التاريخ الإسلامي ـ بل العالمي ـ هو هدر ثروة النفط، الذي ارتكبه القائمون على الشأن في هذه البلاد، إذ ليس في تاريخنا كله كارثة مالية ارتُكبت تماثل أو تقارب هذه الكارثة المرتكبة والمتضاعفة.

فلما أدبرت النعمة تلطخنا في وحل ديْنٍ مخيف (أكثر من ضعف الناتج المحلي وضعف المعدل العالمي)، ولم يتوقف الناهبون عن نهبهم ولا المبذرون عن تبذيرهم، ولم يكن من وقفة صادقة للمراجعة والتدارك، ولم يرحمنا أحد ممن أغدقنا عليه بلا حساب، والأعجب من ذلك أن نستمر في الاستدانة على الأجيال التالية لكي يظل الاستئثار الصارخ والترف الكاذب، ولكي لا نقطع تلك الإعانات والمساعدات الدولية والحزبية التي لا مصلحة فيها للدين ولا للبلاد، فكيف حدث هذا؟

بسذاجة بالغة ونتيجة للإجهاز على الجناح العسكري للدعوة ولإقصاء المعارضة السلمية المتمثلة في العلماء الرافضين لدخول الكفار أرض هذه البلاد الطاهرة جرى توقيع الصفقة المشهورة بأنها أكبر صفقة غبن في التاريخ حيث أعطيت شركة أمريكية أربعة أخماس جزيرة العرب مقابل خمسين ألف دولار!! وكانت هذه هي البداية المؤلمة(14) .

"وكان من أهم مواضع الخلاف بين استراتيجية كل من "أرامكو" و"سمارك" اعتماد "أرامكو" بيع النفط خاما صرفا، وهو ما يعد بإجماع الخبراء بل العقلاء أسوأ أنواع الإفادة من النفط بل إن "أرامكو" ضربت صفحا عن

إنشاء مصاف للتكرير إلى حد أن أكبر المصافي (رأس تنورة) ذهبت طعما لحريق لم تعرف أسبابه، ولم تعمل الشركة جديا لإعادة بنائها"!!

"وهكذا لم تخسر البلاد الفرق بين السعرين فقط، أو تخسر مع ذلك جهازا وطنيا مستقلا بدمجه قسرا في آلة أمريكية ضخمة، بل حدث عقب قرار الدمج مباشرة مفارقة غريبة، وهي أن البلاد أصبحت تشتري وقود السيارات من كوريا والبحرين وغيرهما، ورفعت الحكومة سعره في الداخل بما يقارب الضعف، مما جعل الكارثة مزدوجة، وجعل لها الأثر البالغ السوء على مستوى المعيشة العام[15] "

أسئلة من حق الأمة معرفتها

"وهناك مجالات كثيرة لا يستطيع "الباحث" معرفة الحقيقة عنها.. مثل:

1. المشتريات العسكرية وما يقال عالميا عن العمولات والرشاوى فيها.
2. المخصصات للأسرة المالكة.
3. البنود السرية (الأمنية، الاستخباراتية، وغيرها)، التي ينبغي نشر المخصص لها إجمالاً.
4. المساعدات والالتزامات الخارجية.

ولذلك أصبح من المعهود على ألسنة "المواطنين" و"الباحثين" أن تتردد أسئلة كثيرة مثل:

1. كم تنتج البلاد من النفط فعلا؟
2. بكم يباع النفط حقيقة؟
3. كم يدخل من ثمن النفط -وغيره من المصادر- إلى ميزانية الدولة وأين يذهب الباقي؟
4. كم نصيب الأجهزة الأمنية الاستخباراتية من الميزانية؟
5. ما مدى العدالة في توزيع الميزانية والرقابة على الإنفاق؟[16]"

التوازن والتوزيع

"بلغ نصيب قطاع الدفاع والأمن القومي من ميزانية عام (1420/ 1421) هـ = (40.47 %) في حين كان نصيب قطاع مؤسسات الإقراض الحكومية المتخصصة وهي خمس مؤسسات كبيرة (صندوق التنمية العقاري، وصندوق التنمية الصناعية، والبنك الزراعي، وبنك التسليف، وصندوق الاستثمارات العامة) أقل من ربع في المائة[17] ."(0.23%)

أخطار الاستثمار الأجنبي

"فمن تلك الأخطار وفقا لما كتبه باحث سعودي متخصص:

أ- أن الشركات الأجنبية تحاول تغيير الخرائط السياسية في الدول المضيفة، وذلك حسب مصالحها لزيادة مواردها المادية.

ب – تقوم هذه الشركات بتقديم الرشاوى والهدايا الكبيرة وتسهيلات أخرى للقيادات السياسية، والمسؤولين الذين تستفيد منهم في صنع القرارات، وهذا سيسبب فسادا إداريا وماليا كبيرا في الدولة، وتهدف هذه الشركات من هذه الأعمال سواء في محاولة تغيير الخارطة السياسية، أو تقديم الرشاوى للمسؤولين إلى زيادة أرباحها المالية.

وتتمثل قوتها في ضخامة ما تملك من موارد مالية تساعدها على الهيمنة الاقتصادية فمثلا:

- مبيعات شركة جنرال موتورز، تعادل الدخل القومي الكلي لإندونيسيا.
- ومبيعات شركة سيمتر الألمانية تعادل الدخل القومي الكلي لفترويلا[18] ."

بعض الحلول للمشكلة الاقتصادية وفروعها

ذكر الشيخ عدة حلول للمشكلة الاقتصادية، ولما كان نظرته للأمر أن السبب الرئيس فيه هو غياب الفساد وغياب الشفافية؛ كانت له نصائحه في ذلك المجال.. فذكر منها:

1. حملة عامة لرد المظالم.
2. المحاسبة على ما زاد عن الدخل.
3. يتولى الحملة هيئات خيرية محتسبة
4. بدء مرحلة المحاسبة، وإنشاء مجالس محاسبية.
5. "يتم تسجيل وإعلان هذه المجالس على أنها هيئات ذات شخصيات معنوية على المستوى العالمي، ويتم التنسيق بينها وبين المنظمات العالمية المتخصصة مثل "منظمة الشفافية العالمية" فيما يتعلق بالأموال والأرصدة الموضوعة في البنوك الخارجية، ويشمل ذلك كل من يحتسب للتعاون بتقديم معلومات صحيحة بهذا الشأن."
   "وتستقبل الدعاوى الاحتسابية من خارج البلاد."
6. علنية المحاسبة.
7. البدء بالنماذج الأسوأ.
8. الحجر على من يرفض المحاسبة[19] .

دموع المحرومين لها ثمن

"إن حسرات المحرومين ودموعهم لا تضيع أبدا بل لها ثمن دفعه فرعون وهامان قديما ودفعه "شاوسيسكو" و"سوهارتو" حديثا، وسيدفعه كل سلطان ظالم ومستبد غاشم، فجدير بكل من له بقية من عقل ورأي، أن يستدرك أمره وأن ينتهز فرصة قبول التوبة من الله وحصول التجاوز من الناس قبل أن يحل الأجل المحتوم:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾)الأنعام: 93-94(20) ."(

....

1. المسلمون والحضارة الغربية، للدكتور الشيخ سفر الحوالي، صـ 2817.
2. المصدر السابق، صـ 2818.
3. المصدر نفسه، صـ 2818.
4. المصدر نفسه، صـ 2818 – 2819.
5. المصدر نفسه، صـ 1850 – 1851.
6. المصدر نفسه، صـ 2854- 2855.
7. المصدر نفسه، صـ 2850.
8. المصدر نفسه، صـ 2856.
9. المصدر نفسه، صـ 2862.
10. المصدر نفسه، صـ 2865.
11. المصدر نفسه، صـ2982
12. المصدر نفسه، صـ 2893.
13. المصدر نفسه، صـ 2898.
14. المصدر نفسه، صـ 2930–2931.
15. المصدر نفسه، صـ 2933–2934.
16. المصدر نفسه، صـ 2940–2942.
17. المصدر نفسه، صـ 2942.
18. المصدر نفسه، صـ 2950-2591.
19. المصدر نفسه، صـ 2953- 2955، باختصار.
20. المصدر نفسه، صـ2955.

(7) آل سعود والتعدي على شريعة الله

تقليص مساحة الشريعة في القوانين في السعودية، وإعطاء حق التقنين بلا قيد الرجوع الى أحكام الله، والخضوع عن رضا وافتخار للقانون الغربي، والتصريح بإحالة القضايا لغير الشريعة.. هذه جرائم يجب الوقوف عليها ومعرفتها. كما أوضحها الشيخ "سفر الحوالي"

مقدمة

تستمد المملكة العربية السعودية شرعية حكمها من الانتساب للشريعة وحاكميتها.

وتحت هذا الغطاء ثمة حروب للإسلام ولمحاولات إقامته كهوية وشريعة، ومحاربة لمحاولات الخروج من التبعية للغرب الصليبي ولمحاولات الخروج من المشروع الصهيو مسيحي.

وتتم هذه الحرب تحت هذا الغطاء، وقد كانت خافية تظهر لبعض المسلمين دون بعضهم، واختلف الناس في شأنها بل وتعادَوا، ثم بدأت تظهر شيئا فشيئا حتى صارت حربا كفاحا لهذا الدين وإعلانا للتغريب القيمي والأخلاقي، والخروج عن الشريعة وتقليص سلطانها في الحسبة، والإعلام، والتعليم، والقضاء، والأدهى في التشريع!..

ولهذا كان واجب البيان الى أي مدى يقيم آل سعود الشريعة أو يلتزمونها، وحقيقة مجالات الخروج عن الشريعة والتحلل من أحكامها حتى لا يتستر بالانتساب اليها محارب لهذه الأمة ولدينها..

[للمزيد :أما "سفر الحوالي" فقد أعذر إلى الله]

عن القضاء والتشريع

"أصدرت المملكة منذ ضم الحجاز حتى الآن أكثر من (500) قانون أو نظام، وبها غير المحاكم الشرعية ما يقارب (40) محكمة أو هيئة أو مجلسا أو لجنة لفصل الخصومات في القضايا التجارية والعمالية والعسكرية والبنكية والجمركية والتأديبية والطبية، هذا غير التعاملات الخارجية، حيث لا عين للشريعة ولا أثر، (وهي لا تقتصر على الشؤون الإدارية).

وفي المملكة أقسام أو تخصصات لدراسة القانون، غير المبتعثين لدراسته في الخارج.

وفي كل وزارة تقريبا إدارة للشؤون القانونية لم تؤسس على أصل موافقة الشريعة والاستمداد منها، أو مراعاة المصالح والمفاسد على الوجه الشرعي.

وينص أعلى القوانين التنفيذية في البلاد وهو نظام مجلس الوزراء على أن المجلس يملك السلطتين التنظيمية (التشريعية) والتنفيذية (المادة 19).

وللمجلس هيئة قانونية تشرف على إصدار جميع القوانين (شعبة الخبراء) ليس في نظامها ما يدل على الالتزام بالشريعة إعدادا أو مراجعة، وليس فيها عضو واحد من كبار العلماء أو المتخصصين في الدراسات الفقهية البحتة، ولا تلتزم أصلا بالتقيد بأحكام الشريعة[1].''

''وفقا للاتجاه السائد في معظم كليات القانون في العالم حيث يقسم القانون قسمين كبيرين لكل منهما فروعه، وهما:

١ .القانون العام.

٢ .القانون الخاص.

من فروع القانون العام:

القانون الدولي العام

''وتحتكم المملكة في هذا المجال المهم إلى جملة من القوانين الوضعية التي لا تقتصر على كونها مخالفة لأحكام الشريعة المطهرة، بل هي محادة ومعادية لها في كثير من الأصول القطعية، ومن هذه القوانين:

ميثاق الأمم المتحدة وقوانينها ومعاهداتها وقراراتها الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة ومحكمة العدل الدولية ومحكمة الجزاء الدولية.

وسائر فروع المنظمة الدولية: كمنظمة اليونسكو، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة حقوق الإنسان، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها كثير.

ولا تخفي المملكة التزامها بهذا، بل هي تفخر بذلك إعلاميا، وتدعمه ماليا، وتقرره دراسيا في مناهجها[2].''

القانون الدستوري

''وهو القواعد التي تحكم شكل الدولة ونظام الحكم فيها والسلطات وتوزيعها.

ويمثله في المملكة النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الوزراء، وكلاهما ـ عند التحقيق ـ لم يوضع استمدادا من الشريعة ولا على منهاجها؛ وإنما وضعا على منوال الدساتير العربية المنقولة عن الدساتير الغربية عدا عبارات إسلامية عامة في النظام الأساسي لا يحال إليها عند إصدار النظم، لأن مقتضى الإحالة الموافقة والاستمداد، فهي ''شعار لا مصدر للقرار[3]''.

القانون الإداري

"ومنه أو يلحق به القانون المالي: وهو القواعد التي تنظم السلطة التنفيذية وتنظم الميزانية في الوزارات والمؤسسات العامة وعمل البنك المركزي والبنوك التجارية...الخ.

ولا يخفى على أحد أن هذا القانون لا نصيب فيه للشريعة سواء في الاستمداد أو التحكيم، وما المحاولات التي تبذلها بعض البنوك بمبادرات ذاتية للتوافق مع أحكام الشريعة إلا دليل على ذلك."

القانون الجنائي

"وهو القواعد التي تحدد الجرائم وعقوباتها وطرق الحكم فيها، وهو يشمل نوعين من الأحكام:

١ .أحكام موضوعية: وهي تحديد الجرائم وتشريع عقوباتها.

٢ .أحكام إجرائية: وهي تنظيم المحاكم والهيئات الجنائية بتعيين درجاتها واختصاصاتها.

فأما الأحكام الموضوعية فهي التي للشريعة فيها نصيب مما لم تستثنه القوانين الأخرى بموجب نظام القضاء، الذي ينص على أن للمحاكم الشرعية النظر في مالم تستثنه الأنظمة من القضايا إلى المحاكم الشرعية!..

والواقع أن ما تسمح السلطة التنفيذية بإحالته لا يكاد يتجاوز القضايا الزوجية وقضايا العقار الفردية وبعض القضايا الجنائية، وما عدا ذلك فيكاد يكون إشغالا للمحاكم بشئون لا فائدة منها، واستكمالا لمطالب بعض الجهات الإجرائية والشكلية[3]."

قانون العمل

"وهو القواعد المنظمة للعلاقة بين العامل ورب العمل، وقد كان للثورات الاشتراكية في الغرب أكبر الأثر في استقلاله عن القانون المدني، ووضع أحكامه وإلزام الدول به، لاسيما بعد إنشاء منظمة العمل الدولية وفروعها، وقد مرت له في المملكة مرحلتان:

الأولى مرحلة النظام القديم:

الذي استنكره العلماء حين صدوره، لاسيما العلامة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله "رئيس مجلس القضاء" فيما بعد. ولكن الرد صودر وأوذي بسبب نشره كثيرون، و حظر طبعه في الداخل أو دخوله من الخارج حتى أصبح شبه مفقود، وكذلك اعترض عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في فتاوى كثيرة.

الثانية مرحلة النظام الجديد:

وهو أعظم من القديم مخالفة للشريعة، وأكثر منه مواد وتفصيلا، وقد صدر بعد زمن وجيز من وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله سنة (1389 هـ)، وهو منقول نقلا مباشرا عن القانون الذي وضعه مكتب العمل الدولي في

جنيف، وقد حذى حذو القوانين المستغربة في مصر وغيرها، فجعل مبادئ الشريعة ـ وليس أحكامها ـ مصدرا احتياطيا مع العرف ومبادئ العدالة(3).''

القسم الثاني: القانون الخاص وفروعه

القانون المدني

''وهو القواعد المنظمة لعموم العلاقات بين الأفراد والمؤسسات في المجتمع وهو أكبر الفروع، إذ أن الفروع الأخرى هي أقسام منه ُفصلت عنه لاعتبارات خاصة، وقد ذكر واضعو مجلة الأحكام العدلية أن القانون المدني هو ما يسميه الفقهاء ''فقه المعاملات.''

القانون التجاري

''وهو القانون المنظم للعلاقات التجارية، كقوانين الشركات والتأمين وأحكام الأوراق التجارية وسائر المعاملات التجارية، وهو جانب عظيم من الأحكام جرى استثناؤه من الشريعة منذ ضم الحجاز وصدور نظام المحكمة التجارية سنة (1351 هـ) المنقول عن القانون الفرنسي في أغلب أحكامه بواسطة القوانين العثمانية الأخيرة(4).''

قانون المرافعات التجارية والمدنية

''وهو الجانب الإجرائي من القانون المدني، فأما قانون المرافعات التجارية فليس للشريعة فيه نصيب من أصله.

وأما قانون المرافعات المدنية فهو مستمد من القوانين المصرية، اللهم إلا أنهم وضعوا كلمة ''المملكة'' بدل ''الجمهورية''، والريال بدل الجنيه''!!

القانون الدولي الخاص

''ويعنون به القواعد والأحكام التي تنظم شؤونا داخلية ذات علاقة بالدول الأخرى.

وأهم أقسامه:

١ .تنازع القوانين والاختصاص.

٢ .قوانين الجنسية ومركز الأجانب في الدولة.''

''فأما القسم الأول فلا نصيب فيه للشريعة ولا للمحاكم الشرعية، إذ كل ماله صلة بالدول الأخرى فالقرار فيه في المملكة سياسي وليس قضائيا، وتحرص السياسة الحكومية على أن تكون تسوية المنازعات فيه تحكيما لا قضاء، مما فتح الباب لجهات قانونية تحكيمية لا علاقة لها بالإسلام غالبا فضلا عن الشريعة.''

"وأما قانون الجنسية والإقامة ومركز الأجانب في الدولة، فلا صلة له بالشريعة من قريب ولا بعيد، وليس لأي جهة شرعية أو شبهها عمل فيه سواء في الإعداد أو القضاء أو التنفيذ، وهو جملة من الأنظمة تشتمل على مخالفات لنصوص شرعية كثيرة. من أعظمها مخالفة قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان"، وقوله تعالى ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾)آل عمران: 118 (﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾)الحج:25(

والنتيجة الواضحة هنا هي انحسار اختصاص الشريعة أمام الغزو القانوني الزاحف من كل جهة، مما أنشأ كيانا متميزا للقانون السعودي، يشبه كثيرا القوانين المعمول بها في البلاد الأخرى، والعمل قائم على قدم وساق ليصبح تام الانفصال مكتمل الملامح كأي واحد من تلك القوانين كما سنرى في الفقرة التالية(5)."

[للمزيد :من العقد الاجتماعي الى سياسة الأموال .. مختارات من "المسلمون والحضارة الغربية](6) "

القانون السعودي

"إن التشريعات السعودية بكثرتها وتنوعها وتعدد هيئاتها القضائية، هي تشريعات عامة ملزمة شاملة لمعظم جوانب الحياة، ومستوعبة لمعظم فروع القانون، وليست مجرد تنظيمات إدارية أو أقضية في وقائع معينة، وأي دارس لهذه التشريعات يصح له اعتبارها قانونا ذا كيان معنوي متميز يسمى (القانون السعودي)، وقد أصبح هذا المصطلح تعبيرا عن حقيقة واقعة.

وهذا القانون بالنظرة الرأسية ابتداء من قمة الهرم ـ (نظام مجلس الوزراء) و (النظام الأساسي) وانتهاء بالقاعدة (اللوائح) ـ مركب عضوي من التقنين لا من الشريعة، ومستمد من إرادة السلطة الواضعة.

وكل مادة منها قابلة للإلغاء أو التعديل أو الدراسة من قبل ذات الجهة بمقتضى النصوص الدستورية دون أي حرج قانوني، لأن من يملك سلطة الإصدار يملك سلطة الإلغاء والتعديل، وليس للفقهاء من ذلك نصيب.

وهذا الاحتكار التشريعي مصادم لما دلت عليه قطعيات الشريعة وإجماع الأمة من أن مجرد الكشف عن حكم الله في أي قضية يقتضي الإلزام به، ويجعل الالتزام واجباً معيّناً، سواءً صدر ذلك من مفت أو قاضٍ أو أمير، وسواء كان مقروءاً في كتاب أو مسموعا في خطبة أو نصيحة....الخ.

ومعلوم أن تعليمات السلطة التنفيذية وأوامرها ـ الأوامر والمراسيم الملكية وقرارات مجلس الوزراء وقرارات وزارة الداخلية...الخ ويرمزون لذلك بحروف مثل (م، أ) ـ قد قننت جوانب اختصاص المحاكم الشرعية (وهو محصور في القضايا الزوجية وقضايا العقار الفردية وإثبات التملك والاستحكام وبعض القضايا الجنائية).

وإذا استمر الحال على ما هو عليه فسوف تتحول الشريعة من مصدر مادي للتشريع السعودي، إلى مصدر تاريخي فقط وتتحول المشروعية كاملة فتصبح رسمية وضعية(6)."

من جهة الوضع والاستمداد والتنفيذ

من جهة الاستمداد

"بالاستقراء أيضا لا نجد أن هذه القوانين مستمدة من الشريعة، بل لم نجد على كثرة ما قرأنا من الأنظمة والتشريعات إحالة واحدة إلى كتاب من كتب الفقه، بل ظاهر جلي استمدادها من القوانين الوضعية نصا وفحوى."

من جهة مصدر الإلزام

"فالسلطة هي التي تصدره حسب تدرج القاعدة القانونية: مرسوم ملكي، أمر ملكي، أمر سام، قرار مجلس الوزراء، قرار وزير.. الخ، وينشر في الجريدة الرسمية وتحدد بداية العمل به، ولا يعذر أحد بعد ذلك بجهله(7)."

"وبهذا يتبين أن حق السيادة وحق التشريع والمشروعية العليا، في هذا الكيان المعنوي بجملته معطاة للسلطة التنفيذية، وأن ما أبقته للشريعة من مجال وأحكام لا أثر له في هذا الحكم، فإن السلطة هي التي أقرت ما أقرت، واستدركت ما استدركت، وذلك عن علم وقصد، مع غفلة من أهل العلم أو سكوت منهم، والأنظمة الأساسية الأولى للدولة صريحة في هذا.

فقد كانت السلطة التشريعية قبل تأسيس مجلس الوزراء بيد مجلسي الوكلاء والشورى القديمين، وقد اشتمل قانون مجلس الوكلاء وهو المجلس الأعلى في الدولة، على مادة دستورية مماثلة لما في دساتير الأنظمة الملكية في أوروبا من

أن الملك هو مصدر السلطات، فقد نصت المادة الخامسة منه على أنه «يستمد مجلس الوكلاء سلطته من حضرة صاحب الجلالة الملك.»

ونشر ذلك في الجريدة الرسمية (أم القرى) عدد 370 سنة 1350 هـ، وكان المجلسان صريحين في استخدام المصادر والمصطلحات القانونية، واعتبار عملهما تشريعا، فلما أسس مجلس الوزراء سنة 1373 هـ احتفظ لنفسه بهذا الحق لكنه سماه "السلطة التنظيمية" واعتمد له هيئة قانونية سميت "شعبة الخبراء القانونيين"، ليس من أعضائها عالِم أو فقيه ولا ترجع إلى جهة شرعية مطلقا، واشتملت بعض القوانين والمذكرات التفسيرية على وصف "الشارع السعودي" أو "المشرع السعودي"، وهو وصف لأمر واقع.

غير أن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أصدر فتوى سنة 1380 هـ بأن هذا الوصف غير جائز لأن المشرع هو الله تعالى، فتنبه المجلس إلى مراعاة الاسم دون الحقيقة، وتغيير الشكل دون المضمون، فكف عن استخدام كلمة المشرع واستمر في التشريع(8)."!

"وقِس على هذا سائر الوزارات كوزارة التجارة ووزارة العمل وغيرها، فالمستشارون قانونيون بصراحة، ولا وجود فيها لعالم أو فقيه قط، بل الشريعة تحاصَر من كل جهة، والزحف القانوني لا ينوي الوقوف عند حد.

وفي هذا خطر عظيم على الإيمان والعقيدة ووقوع صريح في الشرك ولو أن دولة صرّحت بالقسمة، بأن جعلت الشريعة والقانون قسيمين لكل منهما النصف لكان ذلك شركًا وعدلا للطاغوت بالله تعالى وتسوية بينهما، وجعل البشر المشرعين أندادا لرب العالمين".

"فكيف وللشريعة الفضلة والحظ الأقل، الذي يتناقص يوما بعد يوم، وبدهي في عقيدة المسلم أن الشرك بالله في بعض أنواع العبادة كالشرك به فيها كلها، وأن اتخاذ غيره ندا معه في أمر كاتخاذه ندا في كل أمر(9)"..

الإقرار بالتنازع بين القضاء الشرعي والقضاء الطاغوتي

"وبعد أن تحدد المادة (30) الإجراءات المتبعة في الطلب تأتي المادة (31) لتقول:

»يترتب على رفع الطلب إلى اللجنة المشار إليها في المادة (29) وقف السير في الدعوى المتقدم بشأنها الطلب، وإذا قدم الطلب بعد الحكم في الدعوى فلرئيس لجنة تنازع الاختصاص أن يأمر بوقف تنفيذ الحكمين المتعارضين أو أحدهما.«

"وهذا الكلام واضح، وعليه تكون القضايا في القانون السعودي ثلاثة أنواع:

1. قضايا من اختصاص محاكم وهيئات قانونية وقد نصت الأنظمة على أنه لا يجوز إحالتها إلى المحاكم الشرعية بحال، كقضايا البنوك مثلا، والقضايا العمالية"...

2. قضايا من اختصاص المحاكم الشرعية عادة، ولا يوجد ما ينص على عدم إحالتها إلى غيرها بل الواقع المشاهد ينطق بأنها قد تحال لغيرها.

3. قضايا مشتبهة أو متداخلة فهذه موضع تنازع الاختصاص كما نصت عليه المادتان 28 و 29 السالفتا الذكر(10)."

النص الصريح على عدم جواز الاحتكام إلى الشرع ومحاكمه

"تنص الأنظمة على إلغاء ما يتعارض معها، كما أنها تقرر نصا أو مفهوما أنها وحدها مصدر القواعد الآمرة والناهية في موضوعها، والرجوع إلى غيرها في ذات الموضوع أو التقاضي لغير ما نصت عليه مردود ومطعون فيه بعدم الاختصاص، والأمثلة على هذا كثيرة، كما في نظام العمل والعمال واللجنة المصرفية وغيرها(11)."

"وقد شهد الواقع وما يزال نماذج كثيرة من طلب المتخاصمين أو أحدهما الرجوع إلى شرع الله، ولا يكون الجواب من الإمارات أو الحقوق المدنية إلا بالرفض، بل المؤلم أكثر أن رئاسة المحاكم ووزارة العدل لا تقبل هذه الطلبات، وفي هذا إرغام للناس على التحاكم إلى الطاغوت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(12)."

إدخال عناصر قانونية في الهيئات القضائية

"هذا لون آخر من الانحراف وسبب من أسباب الفوضى والاضطراب، يتمثل في إدخال قانونيين ضمن هيئات قضائية شرعية أو العكس، وقد أنكر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله هذا الأمر إنكارا شديدا في نقده نظام الغرفة التجارية والمحكمة التجارية، وقال: «هذا فيه تسوية بين الشرع والقوانين الوضعية، وفتح بابٍ لتحكيم القوانين الوضعية واستبدال الشريعة السمحاء(13)."«

نقاش قضايا :

إسناد ولاية القضاء للكفار (14)، عزل الشريعة عن ميدان التعدين، تحكيم قضاة كفرة في أمر من أهم أمور المسلمين في هذا العصر، وبعض القضايا لا تخضع للشرع(15)..، مثال للتخبط القانوني والاضطراب التشريعي (المحاكم التجارية)(16).

أعلمانية هي..؟

"والحكومة السعودية منذ تأسيسها تمنع الهيئات القضائية الشرعية من النظر في القضايا التي تسميها (سيادية)، ومن ذلك السياسة الخارجية عامة، ثم إن الأمر توسع فدخل فيما لا تنظره المحاكم الشرعية قضايا البنوك والإعلام وغيرها بأوامر صريحة، وليس للعلمانية معنى سوى هذا، فهل السعودية دولة علمانية؟(17)"

....

1. " المسلمون والحضارة الغربية" الشيخ سفر الحوالي، صـ2903.
2. المصدر السابق، صـ 2904.
3. المصدر نفسه، صـ2906 – 2907.
4. المصدر نفسه، 2907.
5. المصدر نفسه، 2908 – 2909.
6. المصدر نفسه، صـ 2911 – 2912.
7. المصدر نفسه، صـ 2913.
8. المصدر نفسه، صـ 2914 – 2915.
9. المصدر نفسه، صـ 2916.
10. المصدر نفسه، صـ 2918-2920.
11. المصدر نفسه، صـ 2920.
12. المصدر نفسه، صـ 2921.
13. المصدر نفسه، صـ 2921.
14. المصدر نفسه، صـ 2922.
15. المصدر نفسه، صـ 2923.
16. المصدر نفسه، صـ 2925.

17.المصدر نفسه، صـ 2921.

(8) من خلافات آل سعود، الى دوْر الحِسبة، وانحراف الإعلام

لم تزل نصائح الشيخ "سفر الحوالي" ودوي صيحاتها يتردد ـ وسيبقى إن شاء الله ـ من خلافات الأسرة الحاكمة الى دور هيئة الحسبة، الى الخطورة على العقائد والأخلاق.

مقدمة

من خلافات الأسرة التي وصلت الى حدّ القتل والخطف والتعذيب، بما يتهدد الملك الذي ابتغوه بغير طريقه الشرعي..

الى دور الحِسبة التي أرادوا بها انتزاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عموم الأمة لتحل السلبية الشعبية مكانها؛ كمرحلة، ثم التنفير من هذه الفريضة وتقليص دور الهيئة لاحقا، وهو ما حدث..

الى انحرافات الثقافة والإعلام بما يتهدد العقائد والأخلاق.. حتى وصل الأمر الى التنصير والإلحاد، وإشاعة الفواحش وظهور "الجنس الثالث" .. تلك المخاطر التي ينتفض لها قلب المؤمن؛ فأطلق الشيخ نصائحه ووثق ما رآه بطريقة مسح إحصائي، بلا تردد ولا تخوف.

الخلاف داخل الأسرة

"وقد وصل الخلاف بينكم إلى حد أن يسجن بعضكم بعضا ويكيد بعضكم لبعض، بل أن يختطف بعضكم بعضا، ويضعه تحت الإقامة الجبرية حبيس قصره، وأشد من ذلك أن يغتال بعضكم بعضا"

"ثم إن المسؤولين اختطفوا بعض أبناء تركي بن عب العزيز كالأمير سلطان بن تركي الذي اختطفوه مؤخرا، وقد كان يغنيكم عن الكيد والاختطاف، ألا تعطوا الإنسان مالا ولا منصبا، وأن تتركوه يعيش كما يعيش سائر الناس ويكون رأيه كرأي آحاد الشعب[1] ."

"وبعض الأمراء يعلن انشقاقه، ويجري مقابلات مع فضائيات أو صحف عالمية، يبين فيها أسباب الانشقاق، وكثير من الأمراء ساخطون، ولم يتركوا مناصبهم، إلا بعد أن أعطيتموهم مليارات من بيت مال المسلمين، ومع ذلك لم يذهب الغل من قلوبهم إذ لا يعدو الأمر أن يكون وضعا للصقة على جرح غائر."

"وقال لي بعضكم إذا أردت أن تأتي إليَّ فتعال وحدك ولم يكن معي إلا واحد فقط من نفس الأسرة المالكة[2] ."

"وبعض الأمراء كتب في الانترنت عن مشاكل البلاد ومشاكلكم الداخلية، وبعضهم كتب عن أسرار خاصة لا يعرفها غير من كان داخل الأسرة، إن لم يكونوا مجموعة من الأمراء.

وبعض القراء يقول إن (مجتهد) أو (العهد الجديد) هما مجموعة من الأسرة، والله أعلم."

"ثم إن الخلاف اليوم أصبح علنيا مشهوراً وأنا أخشى أن يكون مصير الدولة السعودية الثالثة كمصير الدولة السعودية الثانية، وأصبح المألوف محلياً وعالمياً أن تقوم السلطات باختطاف أحد أو حرف وجهة الطائرة(3) ."

"وقد ذكر الشيخ عبد المحسن ـ وهو صادق ـ أن بعض الملوك كان يتأثر بمواعظه، ويفتخر بالإسلام، وأظن الشيخ خفي عليه أن العلمانية نوعان، منها نوع لا يعادي الدين، ولا غرابة أن يجتمع الأمران "حب الدين وأهله، وحب التغريب وأهله(4) ."

دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ المجتمعات

"وقد أدرك عقلاء الأمم أهمية الاحتساب لإقامة العدل وأثره الواضح في تماسك الأمة وعلو شأنها"..

"والواقع التاريخي يشهد لذلك في القديم والحديث فقد انهارت المملكة الكسروية الظالمة، وبقيت لدولة الروم بقية، كما انهار الاتحاد السوفيتي وبقي الغرب، واندثرت ألمانيا الشرقية وبقيت الغربية، لأن الأولى كان عمادها الاضطهاد والتجسس وقهر الرعية، والأخرى قامت على احترام حقوق الإنسان وإتاحة أساليب تحقيق العدل في حدوده البشرية."

"بل إن حكومة مدينة واشنطن حققت نجاحا أمنيا منقطع النظير باقتباسها جزءا من نظام الحسبة الإسلامي، فقد ظهر لها بالاستقراء أن الأحياء الإسلامية فيها هي أكثر الأحياء أمنا، وأن المسلمين في المدينة هم أقل السكان إجراما، فأصدرت تشريعا يقضي بتوزيع السلاح على المسلمين وتمكينهم من حراسة الأحياء في أوقات الذروة، فكانت النتائج باهرة، أشاد بها حاكم الولاية علانية في خطابات ومذكرات رسمية(5) ."!!

تاريخ وظروف نشأة جهاز الحِسبة

"لقد كان تأسيس جهاز مختص بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمشورة من "حافظ وهبه"، وهو عضو سابق في جمعية الاتحاد والترقي التركية (لا تخفى صلتها بالماسونية العالمية والفكر العلماني)، قدِم إلى البلاد، وعمل مستشارا سياسيا، وأصبح أول حاكم إداري لمكة المشرفة بعد ضمها، وكانت هذه المشورة عقب حادثة "المحمل" المعروفة وقرر حافظ وهبة ألا يترك باب الإنكار مفتوحا لكل أحد ـ حسب رأيه ـ وأن الحل هو إنشاء هيئة مختصة بهذا تخضع للسلطة، مع حظر ذلك على غيرها من الناس ـ هكذا كتب بنفسه ـ فلم يكن التأسيس مبنيا على المصلحة الشرعية المجردة.

ولم يكن الاقتراح يتضمن ـ مع إنشاء الجهاز ـ توعية الناس بأساليب الإنكار المشروعة والمحظورة ومراعاة المصالح والمفاسد وغير ذلك من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما لا يتعارض مع تخصيص هيئة رسمية لذلك تتولى الجانب التنفيذي العام منه، وفي الوقت نفسه تحض المجتمع عليه وتوجهه وتزيل عنه العراقيل والعوائق.

وهكذا نحى التأسيس منحى آخر، وظل الأمر ميدانا للصراع الخفي أو المعلن أحيانا بين العلماء والمحتسبين من جهة، وبين السلطة السياسية أو الإدارية من جهة أخرى(6) ."

التضييق على الهيئة

"ومن الحوادث المتكررة أن بعض من يقبض عليه رجال الحسبة - بعد استكمال الإجراءات المعقدة - ويضبط متلبسا بالجُرم المشهود ويقر بذلك في التحقيق ويصدق إقراراه في المحكمة، يفاجأ باستدعائه من الجهات التنفيذية ويطلب منه سحب اعترافه والادعاء على رجال الحسبة بأنهم عذبوه وأكرهوه، وأخذوا ما كان لديه من مال...الخ التهم.

هذا عدا تهوين القضايا فترك الصلاة هو من المخالفات البسيطة حسب لائحة الاستيقاف، وقد أدى إلى ذلك النظر إلى الجريمة من زاوية ضررها على المجتمع فقط، وإلا فكيف تكون الجريمة التي أجمع الصحابة على تكفير فاعلها من الجرائم البسيطة في دولة تحكم بالقرآن.

والزنا تسجله الهيئة "خلوة" مع اعتراف طرفيه بوقوعه، والمرأة التي تسافر مع خدينها، وتبيت معه ليالي يكتفى بتسليمها لوليها، والمعاكسات في الأسواق وغيرها كثيرا ما تمر بسلام إلا إذا اشتكى الأهالي ووافقت السلطة التنفيذية على معاقبة مرتكبيها.

والأشرطة والمجلات الإباحية والخليعة وما أشبهها ترد إلى أصحابها أو تسلم للإعلام ليستردوها منه.

ثم هناك الجرائم الأكبر وهي جرائم الاعتقاد، وهذه ليس لها جهة مختصة غير الهيئة."

فتح الطريق أمام التعدي على العقائد والأخلاق

"ومنذ حوصرت الهيئة وعوديت أخذ المنصّرون والملحدون يسرحون ويمرحون كما يشاؤون، وإذا حاولت الهيئة الإنكار عليهم فمعناه أن الأعضاء سوف يتعرضون للتحقيق والعقوبة، التي من أهونها تحويلهم إلى إداريين أو نقلهم إلى مناطق نائية.

ونقدّم هنا مثالا واحدا لذلك وهو محلات بيع الأغاني الأجنبية، التي تبيع الأشرطة والاسطوانات المتضمنة للاستهزاء برب العالمين، وسب دين الإسلام، والتصريح بفعل الفاحشة وأسماء الأعضاء التناسلية، وألوان من الإلحاد والإباحية تحظرها القوانين في أكثر دول العال.

فقد حدث أن مركزا للهيئة في الرياض قام بواجبه فأغلق هذه المحلات وأحال ما فيها من تلك الأشرطة إلى الإعلام، ولم يستح أصحابها من الشكوى لوزارة الداخلية!..

وسرعان ما استُجيب للشكوى، ببرقية لأمير الرياض الذي أصدر من جهته برقيات سرية عاجلة إلى الهيئة والشرطة بإبلاغ أصحاب المحلات (بسرعة فتح محلاتهم) - هكذا في حرص وإشفاق - ومراجعة وزارة الإعلام لاستلام الأشرطة المصادرة، والتأكيد على منسوبي الهيئة بعدم تكرار ذلك.

وعندما شكى أعضاء الهيئة ذلك إلى بعض العلماء لم يجدوا في الأمر جديدا، فهذا شيء معتاد بالنسبة للهيئة، ولكنهم ذهلوا حينما اطلعوا على بعض ما ورد في الأشرطة فإذا هو جرائم مركّبة (عقدية وأخلاقية)(7) ."

الاحتساب خارج اختصاص الهيئة

إذا كان المنكر فيلما أو شريطا فيمكن أن يدخل في اختصاص الهيئة ولو بإحالته إلى الإعلام؛ أما إذا كان المنكر قناة فضائية إباحية أو إلحادية فليس من اختصاص الهيئة.

"وإذا كان المنكر فرديا فقد تستطيع الهيئة استدعاء صاحبه وأخذ التعهد عليه أو إحالته للشرطة، أما إذا كان عاما كأن تكون مؤسسة حكومية، أو مأذونة من الحكومة قائمة على منكر كالبنوك، وإدارات المكوس، وأقسام تدريس القوانين والنظريات الإلحادية، ومعاهد الموسيقى ومكاتب استقدام الكفار، والمستشفيات والمطارات الملأى بالمنكرات، وبعض الأسواق والمراكز التي يملكها الملأ، والمؤسسات التجارية القائمة على الميسر والغرر والغش والبيوع المحرمة، والمؤسسات التعليمية المشتملة على الفساد الأخلاقي والعقدي، والمجتمعات السكنية ذات الحصانة الخاصة؛ فهذا وأمثاله مما هو خارج عن اختصاص الهيئة نظاما أو عرفا(8) ."

الإعلام والثقافة

"في مجال الإعلام والثقافة نجد أكبر مظهر وأوضح دليل على التحول البعيد والانتقال الكبير من مجتمع العقيدة والأصالة والفضيلة، إلى مجتمع الرفاهية والشهوانية والتطبيع المستمر مع الرذيلة والاندماج في اقتصاد السوق فكريا وقيميا، فوق الاندماج ماديا وتجاريا، وهي حال تماثل الحالة المسماة طبيا فقد المناعة المكتسبة بل والموروثة أيضا؟ (9) ."

"أما المضمون الذي تبثه هذه القنوات المتعددة فلا رقابة للحكومة عليه باستثناء الحالات السيادية كما يقال.

كل هذا عن القنوات، أما المضمون فننقله من دراسة أجراها أحد المهتمين بالشأن الإعلامي وهذا نص ما كتب:

تم متابعة أغلب قنوات "أوربت" في أوقات مختلفة، وتم تسجيل العديد من البرامج بأسلوب الانتقاء العشوائي، سواء في القناة أو البرنامج أو الوقت دون تقصد لفترة معينة أو قناة محدودة.

وكانت النتيجة مذهلة، مرعبة لأن مشاهدة الشيء ومتابعته تختلف عن التصور السابق، خصوصا إذا كانت المتابعة دقيقة سواء للمحتوى أو الفكرة أو المشاهد أو العبارات والتي سوف نلخصها أسفل.

لقد وجد الكثير مما يندى له جبين المسلم، فضلا عن أهل الصلاح والدعوة والخير، والأدهى أن هذه البرامج مقصود بها المنطقة العربية والسعودية ودول الخليج على وجه الخصوص.

أبرز النتائج

- مقدمات جنسية فاضحة وحركات وكلمات مثيرة للرغبة الجنسية.
- صور عارية للنساء في صالات رقص.
- عبارات جنسية فاضحة جدا على لسان الأب والأم والصغير والكبير.

- عرض فاحشة اللواط وبطريقة مثيرة وعرض الشباب عراة من الخلف بدون ملابس.
- الضم والعناق والقبلات الساخنة.
- الملابس الفاضحة والمثيرة للكثير من النساء بعضها قصير جدا وبعضها ممزق.
- العبارات الغزلية الكثيرة جدا ذات المغزى الجنسي.
- الحركات المثيرة والتغنج من قبل النساء.
- الأغاني الساقطة وأيضا المثيرة في كثير من الأحيان.
- تناول الخمور ـ بأنواعها ـ وبأساليب الشرب المختلفة في المنزل والخمارات و في كل مكان.
- الكذب والخداع والألفاظ السيئة.
- الصلبان في كثير من المظاهر، وبأنواعها المختلفة، فضلا عن الذهاب للكنائس وتقديس العقيدة النصرانية.
- تبييض صورة المنصرين (المبشرين) وبيان جهودهم الطيبة تجاه الشعوب الفقيرة والضعيفة (أفريقيا) واستدرار العطف تجاه القسس والراهبات.
- تأصيل مفهوم الصداقة بين الرجل والمرأة والعلاقات المحرمة خارج دائرة الأسرة.
- تأكيد مفهوم اللذة والمتعة كغرض أساسي وهدف للحياة.
- تشجيع ظاهرة الشذوذ الجنسي وتأكيد مشروعيتها.
- تعزيز صورة الفنان كقدوة مثلى في المجتمع.
- تقديم الشباب ذوي التقليعات الغربية المنحرفة، سواء في اللباس أو الشعر أو الزينة.
- محاربة الأديان عن طريق تقديم نماذج من العقائد المنحرفة، كجزء من سيناريو الفلم دون نقد أو اعتراض.
- الاستهزاء بالمسلمين والعرب في لباسهم وشخصياتهم ودينهم حتى من خلال أفلام الكرتون للأطفال.
- في قنوات أوربت العربية (الثانية) استضافة عتاة العلمانية في العالم العربي، الذين لا يتوانون عن رفض الشرع، وإطلاق العبارات الكفرية الصريحة.

أما الكلام عن عدم صلاحية الشريعة لزماننا فهذا متكرر على لسانهم، إضافة إلى عروض كتب لبعض المنحرفين ”نجيب محفوظ، زكي نجيب محمود“، والتي فيها مساس بذات الله.

وهذا هو دور الإعلام، وعلى الخصوص ما يبث من هذه البلاد التي تحظى وتبوء بالمكانة المقدسة في نفوس أهل الأرض، فهم لا يرونها إلا جزيرة الإسلام.

ونحن بلد ذو رسالة عالمية، ولا يصح لنا بحال أن نغتنم ذلك ماديا، كما في استغلال الحج والعمرة للسياحة وزيادة الدخل، أو سياسيا كما في استغلال الجماعات الإسلامية لتأييد مواقفنا السياسية، دون أن نقوم بواجبنا الحقيقي وهو حمل عبء الدعوة.

وتحقيق هذه الأهداف الكبرى ليس مما يعجزنا ولا مما يستغرب منا(10) .“

انفلات الأمن وانحلال القيم

"وقد كانت أول طفرة ظاهرة في زيادة الإجرام مصاحبة لكبت الدعوة الذي أعقب حادثة الحرم المكي مطلع سنة ١٤٠٠ هـ، واستمر مطبقا قرابة سبع سنوات عجاف.

وصحِب ذلك فتح الباب على مصراعيه لأسباب الفساد كالسفر لمباءات الفجور والرذيلة، وابتعاث عشرات الألوف من الجنسين إلى الغرب، وانتشار الإعلام المدمر للخُلق "محلات الفيديو والغناء والمجلات الخليعة"، وانحراف الصحافة وسائر منافذ الثقافة وسقوطها في وحل الحداثة والانحلال(11) ."

ومن مظاهره

- تفاقم جريمة الاعتداء على المحارم بالفاحشة إلى حد غير مقبول ولا معقول، وأصبح كل من يسافر ومعه عائلته لا بد أن يصطحب سلاحاً.
- قتل الوالدين أو الأولاد أو الأزواج، بطرق في غاية الفظاظة والغرابة كالإحراق، وصب المواد الكاوية المذيبة، وتقطيع الأوصال ورميها في القمامة... ونحو ذلك.
- هروب الفتيات إلى دول أو مدن ومناطق بعيدة، ورفض العودة من الخارج بصحبة الأهل!
- ظاهرة الجرأة والصفاقة في ارتكاب أكثر الجرائم إثارة وأشدها حساسية، وهي الاعتداء المباشر ـ وبالسلاح أحيانا ـ على النساء بصحبة محارمهن داخل المدن في وضح النهار، وعلى مرأى ومسمع من رجال الأمن وجمهور الناس(13) ."..

"وقد وصل الحال من السوء والتردي، إلى حد أن أحد رؤساء الهيئات المخلصين في إحدى المدن الكبرى صارح الرئاسة العامة وإمارة المنطقة بأنه لن يتابع أي قضية من قضايا الاختلاء والمعاكسة، وعلّل ذلك بأنه مادامت اللوائح والإجراءات بهذا الشكل فإن قيامه بمتابعة الحالات وتسليمها للشرطة هو بمثابة "قيادة" بين البغايا والفساق من رجال الأمن!!

وقد أقيل ذلك الرئيس وبقيت اللوائح على حالها وازدادت الإجراءات سوءا وضعفا(14) ."

....

1. المسلمون والحضارة الغربية، الشيخ سفر الحوالي، صـ2836.
2. المصدر السابق، صـ2837 – 2838.
3. المصدر السابق، صـ2838-2839.
4. المصدر السابق، صـ2839-2840.
5. المصدر السابق، صـ2959.
6. المصدر السابق، صـ2962.
7. المصدر السابق، صـ2966-2968.
8. المصدر السابق، صـ2971.
9. المصدر السابق، صـ2978.
10. المصدر السابق، صـ2981-2984.

11. المصدر السابق، صـ2986.
12. المصدر السابق، صـ2987.
13. المصدر السابق، صـ2988.
14. المصدر السابق، ص2989-2990.

(9) بين الحضارة النيّرة والحضارة الغربية المظلمة

من ربانية المصدر الى العدل المطلق، الى الانسانية والقيم التي لا تحيد ولا تميل.. هذا بعض ما تدرك به مميزات الحضارة الاسلامية عن المنتج الغربي.

مقدمة

المنبهرون لا يرون..

فعلى عيونهم غشاوة، ولا يثقون فيما في أيديهم ولا في تاريخهم.

يهملون المصدر الرباني، ويتشككون في الوحي الكريم، ويغضّون الطرف عن جهالات الغرب السابقة، والجهالات الحالية التي تحوط جاهليته ومنتجاته المادية التي أذهلت هؤلاء.

وعلى سبيل التوازن وللتنبيه والإيقاظ يقدم الشيخ "سفر الحوالي" ـ حفظه الله ـ مميزات الحضارة الاسلامية والتي توضح تفوقها وجدارتها بالوجود وأحقيتها بقيادة البشرية، ومدى الجريمة التي يرتكبها من يعطل وجودها ويمنع عودتها..

كما يظهر من هذا البيان كمّ التفريط الذي فرطه المسلمون حينما توقفوا للحظة واحدة ينبهرون فيها بمنتج شائه ويتخلون فيه عن إرث عظيم يقوم على عقيدة فريدة.

ربانية المصدر

كما أن الحضارة الإسلامية تتميز بمصدرها الرباني تتميز كذلك بميزات ليست في غيرها؛ منها:

الميزة الأولى أنها حضارة تقوم على الحجة والبرهان واليقين وليست حضارة تقليد أعمى وتسليم مطلق ولا تقوم على الظنون والاحتمالات التي لا يعرف الفكر الغربي غيرها لاسيما في بحوثه النفسية والاجتماعية عن نشأة الكون ووجود الحياة وتقديره للعصور الجيولوجية وأمثال ذلك[1] .

حضارة توحيدية

فالله تعالى واحد والرسول واحد والقبلة واحدة والقرآن واحد، ودين الأنبياء واحد والمسلمون أمة واحدة وحكمة الوجود واحدة.. الخ.

والإسلام دين التوحيد وليس فيه تعدد، وليس فيه كما في اليهودية أحبار معبودون واستنصاح للرجال في دين الله، أو اصطلاح على خلاف شرع الله، وليس فيه تثليث كالنصرانية، ولا يشرع علماؤه شيئا كما يشرع الأحبار والرهبان(2) .

ربانية التشريع

للحضارة الإسلامية ميزة عظمى تفتقر إليها المجتمات، ولا تزال الحضارة الغربية متأخرة عنها ألا وهي الثروة الفقهية الهائلة التي تبين الأحكام التفصيلية لكل حادثة، مع إتاحة الفرصة الكاملة للاختلاف والاجتهادات ووجهات النظر، في حدود القواعد الشرعية والأصول الكلية، ومع المرونة الكاملة في التطبيق ومراعاة المصالح والمفاسد وتغيرها بحسب أحوال الأمة(3) .

والتاريخ الدستوري في العالم يشهد أن أول دستور مكتوب هو الصحيفة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسل لما قدم المدينة، ورواها الإمام أحمد وغيره، ومنها اقتبس الغرب بعد قرون أول دساتيره، وأفاد منها الدستور الأمريكي جدا، ولا تزال حرية الاعتقاد أحد منجزات القانون الدولي الى اليوم(4) ”

وقد عجبت مؤتمرات المستشرقين مما كتبه الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة في كتابه المشهور ‘‘السير’’ وقالوا إنه أول كتاب في القانون الدولي(5) .

حضارة قيم وموازين

حضارة ذات قيم وموازين خاصة ومعايير مستقلة ولكل قيمة مفهومها الإسلامي الخاص الذي تختلف به عن سائر الحضارات(6) .

فليست القوة في الإسلام هي القوة العسكرية أو القوة البدنية وحدها، وليس المفلس من فقد ماله فقط، كما أن الغنى ليس عن كثرة أعراض الدنيا، وليس الفساد هو الرشوة وسرقة المال ونهب الثروات فقط، بل هو كل خلل في الدين أو في الكون أو في االمجتمع....الخ (7)

وليست الجاهلية مرحلة زمنية كان عليها العرب قبل الإسلام فقط؛ بل هي مرض عضال يقع في أي زمان(8) .

وليست ريادة العالم هي التفوق الصناعي وإنتاج الأسلحة المسماة ‘‘ذكية’’ ولا بالتقدم المادي والرقي العمراني فقط(9) .

حضارة إنسانية

أنها حضارة إنسانية لكل بني آدم لا تختص بعرق أو جنس أو لون.

وكل من استظل بظل الحضارة الإسلامية أمن واطمأن أيا كان دينه أو عرقه أو لونه.

وليس في الإسلام طبقات اجتماعية كالهندوس، ولا طبقات انتاجية كالشيوعية، ولا طبقة أرستقراطية وطبقة برجوازية وطبقة كادحة "بروليتاريا" كما في الغرب، وليس فيه دم أزرق يجري في عروق الملوك والنبلاء، ودم عادي للعبيد وأرقاء الأرض كما يظن ويتوهم الإقطاعيون الغربيون.

وليس في شريعته شعوب متحضرة وشعوب بربرية همجية كما يظن الرومان.

وليس فيها رجال دين وعلمانيون كما كانت تفعل الكنيسة.

وليس فيها عالم أول حر وعالم ثالث متأخر كما يظن الرأسماليون، والجاهليون في الغرب، وليس فيها عرق أبيض راقٍ وعرق أسود أو ملون منحط، كما يزعم العنصريون في أمريكا، ومنهم ترامب الذي قال إن غير البيض هم حثالة البشر(10) !

وليس فيها أكثرية محقة وأقلية مبطلة.

وليس فيها أقلية حاكمة مستبدة قبيلة أو أسرة ولا حكم فردي مطلق ، ولا فرعونية.

وليس فيها حكومة حكامها رجال الدين "ثيوقراطية" ولا فرد متسلط "أوليغاركية "ولا حكم أقلية " مانوركية(11) ."

وليس فيها مواطن يحمل الجنسية وأجنبي لا يحملها، بل الأجنبي هو الكافر أيا كان بلده، والمسلم يسكن حيثما شاء(12) .

ولا تعترف الحضارة الإسلامية بأمتين إحداهما إسلامية والأخرى عربية فهذا مزج بين التوحيد والقومية، ورحم الله الشيخ ابن باز الذي فصل ما في القومية العربية من مفاسد، ومثلها القومية الطورانية أو الكردية أو الطوارقية أو القومية الهندية أو القومية البربرية أو أي قومية في الشرق أو الغرب(13) .

حضارة عدل مطلق

والعدل من القيم المطلقة في الإسلام، وبه قامت السموات والأرض، ولم يحد عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أو صحابته الكرام أو أحد من السلف قيد شعرة، واستنباطا من القرآن والسنة وسير السلف قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العدل واجب على كل أحد لكل أحد في كل حال(14) ."

ومما ينافي العدل الظلم والاستبداد، فليس في الإسلام استبداد كما قد يظنون.

عدل شامل في الأقوال والأفعال والمعتقدات.

عدل مع العدو والصديق، والقريب والبعيد.

عدل واجب حتى مع المشركين الذين يصدون أهل الإيمان عن بيت الله الحرام(15) .

فالإسلام يقوم على العدل وليس على الفلسفة (البراجماتية) التي تجعل المصلحة فوق المبدأ(16) .

وبالعدل الرباني كانت المجتمعات الإسلامية أقل المجتمعات غشا وسرقة وتزويرا(17) .

حضارة اختيار وظاهر

فلا تتكلم عن السرائر والنيات بلا علم، ولا تقتدي بما يقوله الإنسان وهو غير مختار له، ولا تتكلف باطنا ينكره صاحبه.

وليس فيها إكراه ولا محاكم تفتيش ولا صكوك غفران فالأصل في ديننا هو سلامة النية والقصد، والأصل في المسلم أنه يصلي ويتقى الله ولا يشرب الخمر أو يزني.

والعالِم في الإسلام له منزلته لكن لا نعترف له بذنوبنا ولا يملك صك غفران(18) .

حضارة عفو وإحسان

والحضارة الغربية اليوم لا تعامل بالعدل ولا تقف مع الحق، أما العفو فهو بعيد عنها.

فالعدل واجب والإحسان مستحب(19) .

حضارة المساواة

المساواة المطلقة مستحيلة شرعا وعقلا، أما المساواة فيما يمكن فيه المساواة فحق، والشرع هو الفيصل بينهما.

والمساواة قيمة تفتقر اليها البشرية اليوم.

وبالمساواة الإسلامية بين العروق المختلفة، وباعتبار التقوى هي سبب الامتياز الوحيد أصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي أعلى درجة من أبي سفيان وسهيل بن عمرو وأمثالهما ممن كانوا سادة معظمين في الجاهلية، وأصبح التفاخر بالأنساب من أمور الجاهلية، وأصبحت القومية دعوى جاهلية.

فقارن ذلك بعنصرية ‘‘ترامب’’ وما سجله عمر كتنا الأمريكي في رواية ‘‘الجذور’’، وما كتبه ‘‘ألبرت إ.كان’’ في ‘‘مصرع الديمقراطية’’ وما ذكره الرئيس كارتر من تأصُّل العنصرية في المجتمع الأمريكي، وما كتبته ‘‘هارييت ستو’’ في ‘‘كوخ العم توم.’’

وهب أن "ترامب" الأصولي العنصري أخفق في الانتخابات ولم يصوّت له إلا (40%) من الأمريكيين أليس ذلك كثيرا؟ (20)

حضارة حق يجب قوله ويحْرُم كتمه

وليست حرية التعبير مقيدة باتباع الحاكم كما يفعل الدكتاتوريون، ولا هي مطلقة كما يزعم الديمقراطيون، بل لا بد أن يكون القول حقا، وأن يجهر به صاحبه وأن يكون كتمه حراما فلا قيود عليه ولا خطوط حمراء إلا ما لا يجوزشرعا(21) .

حضارة حب وتقدير

بالرغم مما تعانيه المجتمعات الإسلامية من تخلف مادي وتأخر تقني لديها بقايا من القيم النبيلة والعادات الأصيلة التي ينبغي توجيهها لتكون خالصة الله موافقة لشرعه، ولنا ميزات معنوية وأخلاقية تندر أو لا توجد في الغرب المادي الجاف(22) .

وبما لدينا من بقية القيم نرى كثيرا من الغربيين يدخلون في الإسلام فكيف لو أنهم رأوا الإسلام على حقيقته؟ (23)

حضارة طيبات

والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، والرسول صل الله عليه وسلم أطيب الخلق، وقد وصفه ربه بأنه يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث(24) .

حضارة أخلاق

ومن الأخلاق الكريمة التي حث عليها الشرع كظم الغيظ وترك الغضب، والإحسان الى كل ذي كبد رطبة، حتى ولو كان كافرا أو كلبا أو بهيمة أو طيرا أو حشرة.

والصفح، وترك الغيبة والبهتان والحسد والحقد والكِبْر، وكل مرض قلبي.

والتزام الصدق في الأقوال والأعمال والوفاء.

ومعرفة حق الجار ولو كان كافرا.

والحياء، وإماطة الأذى عن الطريق، وغض النظر عن الأجنبيات، والعفاف، وصلة الأرحام، وترك الغش في أي شيء، وشكر المحسن، والحِلم، والتأني، والتواضع، وترك مد العين للدنيا، والأمانة في الأقوال والأفعال.

ونصرة المظلوم، والذب عن عرض المسلم في غيابه، وإفشاء السلام حتى على من لم يعرفه المسلم، والعمل الخيري، وإعارة الإناء، وغيره(25) .

والغرب من طبيعته الأخلاقية أنه يتلاعب بالمصطلحات وكثيرا ما يعكسها، فيسمي احتلاله ''مطلبا حكوميا''، ويسمي حربه للإسلام ''مكافحة الإرهاب''، ويسمي اغتيال المنتخبين أو عزلهم ''قضاء على الديكتاتورية.''

ويسمي إمداده المستمر للصهاينة ''نشراً للديمقراطية''، ويسمي المسلمين ''هراطقة''، ويسمي غزوه لبلاد المسلمين ''تحريرا''، ويسمي تسلطه الاقتصادي ''وفرة''، ويسمي تقسيمه ''فدرالية''، ويسمي وحشيته ''حقوقا للإنسان''، ويسمي دياثته ''تطورا''، ويسمي ظلمه ''مساواة''، ويسمي هيمنته الاقتصادية ''استثمارا''، ويسمي احتكاره ''تسويقا.''

ويسمي إخضاعه للضعفاء ''تفاوتا''، ويسمي الإقرار بتفتيته ''حسن جوار''، ويسمي عملاءه ''أصدقاء''، ويسمي اللصوصية ''تنمية''، ويسمي مواطنيه ''خبراء '' أو مستشارين، ويسمي الربا ''فائدة.''

ويسمي الأقليات اليهودية أو النصرانية ''مكونا اجتماعيا''، ويسمي الانفصال ''حق تقرير المصير''، ويسمي المسلمين المحرومين من الانتخاب في بورما ''أقلية بنغالية.''

ويسمي أي دعوة جاهلية وإحياء اللغات المنقرضة ''تنوعا ثقافيا''، ويسمي التماثيل ''إرثا إنسانيا''، ويسمي الأصنام ''آثارا''، وعموما إذا سمعت وقرأت تصريحا أو بيانا لأي دولة قالت إنها فعلت كذا وكذا من أجل حقوق الإنسان، أو العدالة، أو الديمقراطية، فاعلم أن تحت ذلك الكلام غرضا سياسيا وغالبا ما يكون مصلحة نفعية(26) .

ويقف مع الانقلابيين في مصر، وليس مع الديمقراطية في تركية، وهكذا في الجزائر وبورما بل في كل الدول الإفريقية حيث يكون المسلمون فوق 90% ويحكمهم نصراني(27) .

حضارة وفاء والتزام

والوفاء ميزة عظيمة للحضارة الإسلامية على غيرها من الحضارات التي تتميز بانتهاج مواعيد عرقوب، وأن كلام الليل يمحوه النهار، كحال الحضارة الغربية وسياستها المعاصرة.

وليس في الإسلام اتفاقيات أو مواثيق لا تساوي قيمة المداد الذي كتبت به، مثل اتفاقيات جنيف ولاهاي، وميثاق حقوق الإنسان، واتفاقية تحريم العنصرية، وميثاق حقوق الطفل، واتفاقية تحريم الإبادة العرقية(28) .

أنـها حضارة اجتماع وألفة

فلا تجعل العالَم معسكرين متحاربين إما بالحرب الباردة أو الساخنة لأسباب نفعية بحتة، ولا تجعله حلفين متعاديين، ومن ترك أحد الحلفين أو المعسكرين افتخر بأنه ليس منحازا، بل كان المسلمون أمة واحدة مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وأعراقهم.

فالدُّور داران إما دار كفر وإما دار إسلام وكل دار بحسب سكانها وما يجري عليها من الأحكام، وما يظهر فيها الشعائر. وأمر بالاجتماع على السنة والدين ونهى عن التفرق بالابتداع أو الكفر(29) .

حضارة عمل

فالدين قول وعمل أي اعتقاد وامتثال، وليست شريعتنا مجرد مشاعر وجدانية هائمة أو شعارات يمكن لأي أحد أن يرفعها، أو عواطف يمكن لكل أحد أن يدعيها، ولا هو احتفالات أو موالد كما يفعل أهل البدع.

والعمل هو المحكّ الحقيقي للإيمان، وإلا فمن السهل أن تكتب دولة أو إنسان على رايته أو طائرته "لا إله إلا الله"، أو يقولون دولة إسلامية أو يسمي نفسه أمير المؤمنين، وما أشبه ذلك، بل حتى من نافق وأقسم بالأيْمان أنه صادق أمره الله بالعمل(30) .

فأين هذه الحضارة النيرة من الحضارة الغربية المظلمة التي إما أن تترك الدنيا وتترهبن، وإما أن تأخذ بجشع تقطع الصلة بالوالدين والأبناء ما لم يكونوا منتجين(31) .

....

1. " المسلمون والحضارة الغربية"، الشيخ سفر الحوالي، صـ 144.
2. المصدر السابق، صـ 150.
3. المصدر السابق، صـ 153.
4. المصدر السابق، صـ 154.
5. المصدر السابق، صـ 155.
6. المصدر السابق، صـ 158.
7. المصدر السابق، صـ 159.
8. المصدر السابق، صـ 159.
9. المصدر السابق، صـ 161.
10. المصدر السابق، صـ 165.
11. المصدر السابق، صـ 166.
12. المصدر السابق، صـ 166.
13. المصدر السابق، صـ 167.

14. المصدر السابق، صـ 168.
15. المصدر السابق، صـ 169.
16. المصدر السابق، صـ 175.
17. المصدر السابق، صـ 182.
18. المصدر السابق، صـ 183.
19. المصدر السابق، صـ 186.
20. المصدر السابق، صـ 188.
21. المصدر السابق، صـ 191.
22. المصدر السابق، صـ 193.
23. المصدر السابق، صـ 194.
24. المصدر السابق، صـ 194.
25. المصدر السابق، صـ 196.
26. المصدر السابق، صـ 198.
27. المصدر السابق، صـ 198.
28. المصدر السابق، صـ 202.
29. المصدر السابق، صـ 202.
30. المصدر السابق، صـ 207.
31. المصدر السابق، صـ 208.

(10) بشارات .. لمن المستقبل؟

وعَد الله بإظهار دينه، ووعَد تعالى بإزهاق الباطل، أما تحقق هذا وسريانه للوجود فهذا أمر الله وشأنه، وعلينا العمل واستقراء السنن ومعرفة الواقع والى أين يتجه.

مقدمة

ما يحمله الاسلام من عقيدة وقيم ومنهج، وما في الأمة من أخلاق وقيم، كلاهما يعطيها التفوق.

وما يحمله الغرب من بذور خبيثة وملامح تفكك وإفلاس أخلاقي وقيمي، كلها يؤكد ـ وباعترافهم ـ أن الاسلام هو الحضارة المهيأة للاستمرار والبقاء، وله المستقبل بإذن الله.

كوامن الخير الأخلاقية والقيمية

إن ‘‘القضية ما هو موقفنا من الإيمان وليست النصر أو الهزيمة ولا التأخر والتقدم.

ونحن بالرغم من التقهقر الحضاري ماديا وتقنيا لا نزال أقرب أمم الدنيا للحق وأكثرها تقدما في المجال الانساني والأخلاقي، وأكثرها تكافلا اجتماعيا وأوفر الناس حظا بالحياة الطيبة التي قوامها الإيمان والعمل الصالح، وأغناها بالشخصيات الخارقة والأعاجيب المعجزة، ونحن نتفوق على الغرب أخلاقيا مهما تأخرنا تقنيا، وهذا ما يجعلنا نضمن أن المستقبل لنا بإذن الله[1].’’

شمس الرسالة وأثرها

‘‘وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال في’’ قاعدة نافعة في وجوب الاعتصام بالرسالة’’ وهي في الجزء التاسع عشر من مجموع الفتاوى: ’’ الدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة’’.

وهذا الظلام يشاهده بعين البصيرة كل ذاهب لبلاد الغرب، ويرى الحياة الاجتماعية المفككة والضجر القاتل والإحباط المريع.

وهذه الأمة لها قانونها التاريخي الخاص، إذ يكون البلاء مقدمة للنصر وخذ هذين المثالين وقِس عليها ما تشاء:

الأول: لما اجتاحت جحافل التتار الممالك الشرقية الإسلامية وباعوا أبناء ملوك المسلمين أرقاء في سوق النخاسة، أخرج الله من أولئك المماليك من هزموا التتار في عين جالوت.

والثاني: لما زار السادات إسرائيل ووقع الاتفاقية المشؤومة كامب ديفيد، وتوالت الاستسلامات في مدريد وأسلو، وطرح العرب على اليهود مبادرتهم النكدة، جاء الله بجيل جهادي يرفض كل ذلك الذل والانبطاحات، ويوقن أن ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، وشرع في البناء الجهادي في فلسطين المباركة كما هو معلوم لكل ذي لب(2).''

دلائل المستقبل

ونحن لا نشك لحظة واحدة في أن المستقبل إنما هو للإسلام، وليس ذلك تعصباً، بل هو ما تقوله الحقائق الموضوعية الكثيرة، التي سوف نورد طرفا منها بإذن الله.

ويدل على هذا التفاؤل أمور منها:

- النصوص من الآيات والأحاديث، فلم يكن عند القرون الثلاثة أي شك في ذلك وإنما كان بعضهم لا يعلم أيّ المدينتين تفتح أولاً أهي القسطنطينية أم روما؟
- العودة العالمية وانتهاء مركزية الغرب وهما متلازمان.
- حاجة الناس الفطرية إلى الدين وحاجة العالم إلى منقذ.
- أن الإسلام أسرع الأديان انتشارا وسوف يزداد ذلك في المستقبل.
- الخصائص الفريدة للإسلام ومنها سلامته من العبث البشري، والتوازن بين المادة والروح وبين الدنيا والآخرة، ومنها العدل المطلق، ومنها أخذ الحكمة والحق من الموافق والمخالف، ومنها الوسطية بين المغضوب عليهم والضالين، وغير ذلك.
- الإسلام هو الدين الوحيد الذي تشهد له الفطرة والعقل والعلم والتاريخ.
- الإسلام وحده هو الدين الذي لا تحريف فيه وليس مصدره إنسانيا، ولم تخالطه أفكار البشر، وآخِر الأديان قبله (النصرانية) لها أربعة أناجيل متناقضة، في حين أن القرآن واحد في شرق الدنيا وغربها المخطوط منه والمطبوع ولم يتغير منه حرف واحد(3) .

مقدمات وعلامات بشائر النصر

وقد بدأت بشائر نصر الإسلام تلوح، ولذلك مقدمات وعلامات، وهذه المقدمات من البشائر التي تجعل المسلم على ثقة ويقين:

الثقة في وعد الله

ولن يُخلف الله وعده، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾)المجادلة:21(، ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود:49)، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾)الصافات:171-173(، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾)غافر:51(.

أذى النبي صلى الله عليه وسلم

كما فعلت الصحف الغربية في الدنمارك وفرنسا ونقلته بعض الصحف اليهودية في إسرائيل، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن المسلمين إذا حاصروا حصناً فسب أعداء الله رسول الله تفاءلوا بأن النصر قريب.
ومن المعروف نفسياً أنه لا يعمد لهذا الأسلوب إلا فاقدُ الحيلة.

تكالب قوى الكفر على المسلمين وتداعي الأمم عليهم

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾)الأحزاب:22.(

وإنما قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح «اليوم نغزوهم ولا يغزوننا» بعد اجتماع الأحزاب عليه ورمي العرب له عن قوس واحدة، وهكذا اليوم حال أهل السنه في كل مكان.

وهناك حالة مجربة بشرياً وطبيعياً، وهي أن الأزمة تنفرج بعد أن تشتد، وأن الله تعالى يستجيب الدعاء عند انقطاع الرجاء من الخلق، وأن اشتداد الظلام إنما يكون عند قرب الفجر.

ضعف الطواغيت المحليين أمام قوة الشعوب

الأمر الذي أدى إلى استنجادهم بقوى خارجية وأن تأتي قوى الكفر اليهودي والصليبي بنفسها كما جاء الروس إلى أفغانستان وإلى بلاد الشام، وجاء الروس والأمريكان إلى الصومال والعراق وأفغانستان وبلاد الشام.

وكل ذلك كان متوقعاً لكن نهايتهم معلومة قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾)الأحزاب:22.(

الانهيار الوشيك للحضارة الغربية

وما ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء، كما يحدث بين الروس والأمريكان، وبين أمريكا وأوربا؛ كما هو مشاهد حاليا بين أمريكا وألمانيا.

فلابد أن تتعارض المصالح والأهداف، وإن كان العدو المشترك لهم هو الإسلام، ولا يغرّنك بعض مظاهر الاتفاق التي هي مثل ""تصافح المتبارين"" عن حقيقة ما تكنه القلوب.

العودة إلى الله بين المسلمين في كل مكان

وهي عودة هائلة يعلمها الخاص والعام سواء سُميت ""الصحوة"" أو ""التوبة"" أو ""الرجوع"" أو أي اسم.

فقدان الثقة

فيما يسمى السلام الدولي والمجتمع الدولي وهيئة الأمم المتحدة، وأن كل ذلك لا يغني عن البشرية التائهة شيئا، وفقد العرب الثقة فيما يسمى جامعة الدول العربية وسوف تصبح هيئة الأمم المتحدة كذلك.

انكشاف زيف شعاراتهم

شعارات المنافقين وأتباعهم، كما ينكشف زيف الذهب المغشوش، وإخفاق ما يسمى سياسة الاحتواء.

الأزمات القانونية والسياسية والمالية المتتابعة في الغرب

خذ مثلاً لذلك تفكك "الاتحاد الأوربي"، وأزمة خروج بريطانيا منه، وكذلك تريد "قطالونيه" و"اسكتلنده" و"كورسكيا" و"شمال إيطاليا."

وسوف يبطل سحر الحضارة الغربية، كما أبطل الله سحر السحرة الذين استخدمهم فرعون لإثبات أن موسى عليه السلام ساحر، وأنه سوف يأتي بسحر مثله ! ومن حق المسلمين اليوم أن يقولوا للغرب:

زمان الظلم يا فرعون ولّى ** ودالت دولة المتجبرينا

إعلان الجهاد

وهو إن بدا اليوم غريبا محارَبا يقول الغربيون وأذنابهم عنه إنه "إرهاب" فما ذلك إلا تمهيد لزوال استغرابه حين يصبح ذا حكمة وبصيرة.

وقد كان الجهاد الأفغاني غريبا ثم ألف الناس طالبان اليوم، وذلك ما سوف يثبته الزمن بإذن الله ولكن "خُلق الإنسان عجولا."

دلالة السنن الكونية

فهي تدل على ذلك فالليل يعقبه النهار، والمخاض يعقبه ولادة، والشدة يعقبها الفرج، والعسر يعقبه اليسر، والهزيمة يعقبها النصر، وهكذا.

وعليه تدل دراسات استشراف المستقبل التي تقدم فيها الغرب اليوم(4) .

أسباب سقوط الحضارات، ودلالة ذلك

فقد درس المؤرخ البريطاني الكبير" ارنولد توينبي " المتوفى سنة ١٩٧٥م الحضارات البشرية دراسة عميقة لم يدرسها غيره، وقد بلغ عدد الحضارات التي درسها واحدة وعشرين حضارة، وكانت خلاصة دراسته أن للحضارات سمات مشتركة، ولقيامها أو سقوطها أسباب مشتركة أيضا. ومن النتائج التي توصل إليها:

- صحة كلام المؤرخ اليوناني" بلوتارخ "في أنه لا توجد حضارة بلا دين، بل إن المعابد هي المركز المهم في كل حضارة.
- أن الحضارات تسقط إذا فقدت العقيدة أو الفلسفة أو الأيديولوجية، التي قامت عليها، وقد قامت الحضارة الغربية على الحرية وحقوق الإنسان، ثم ها نحن أولاء نرى اليمين المتطرف ينقلب عليها ويتنكر لها.
- أن الانحطاط الخلقي عامل مشترك بين كل الحضارات الساقطة كما انتشر بين الرومان معاشرة البهائم، واليوم ينتشر اللواط ومعاشرة البهائم في أمريكا.
- أن انتفاء العدل وانتشار الظلم عامل حاسم في سقوط الحضارات، وقد مرّ أحد الظلمة من ملوك الفرس بخربة فيها البوم ينعب، فقال لوزيره: ما تقول هذه البوم؟ فقال الوزير تقول: إن أطال الله عمر الملك فلن تكون هذه الخربة هي الوحيدة.
- أن نشوء الدولة الإقليمية يعجل بسقوط الحضارات وسقوط الدولة الإقليمية نفسها.
- واليوم يسمونها الدولة الوطنية هكذا سماها توينبي.
- أن الترف ما فشا في حضارة إلا كان مقدِّمة انهيارها، وهذا ما قاله ابن خلدون قبله. وحسبك في ذلك حال أهل الأندلس، وإنما طال عمرهم بعد أن قدم إليهم الملثمون الخشِنون من إفريقيا.
- أن كل الحضارات تدعي المبدأين المتناقضين المساواة والحرية.
- لاحظ "توينبي" أن الحضارات لا تسقط من لخارج وإنما تسقط من داخلها.
- قال"توينبي" إن الحضارة الغربية سوف تسقط بسبب الخمر والمخدرات(4).

فتح الاسلام وإفساد اليهود

وقد درس الحضارات أيضا المؤرخ "غوستاف لوبون" الذي خرج بنتائج مماثلة.

ومن أهم النتائج عنده:

–أن أرحم الفاتحين هم المسلمون الذين سماهم العرب.

–أن اليهود أفسد الشعوب في الأرض وأنهم يسعون لتدمير الحضارة البشرية(5).

يقين الغرب بتفوق الاسلام، وعلاماته

والغرب لا يشك في تفوق الإسلام على ثقافته، ولا ريب أن تفوق أي فكرة مقدِّمة لتفوق أهلها، ومن التفوق الإسلامي الذي لا يستطيع الغربيون إنكاره بل هم الذين يجرون له الاستطلاعات:

انتشار الاسلام

أن الإسلام اليوم أكثر الأديان انتشارا في العالم، وسيكون دين المستقبل بإذن الله، وقد وعد الله بإظهاره على الدين كله، وفيه يدخل الأمريكان والإنجليز والأوربيون والهندوس وغيرهم.

التوحيد الفطري

التوحيد الذي كلّ النفوس البشرية مفطورةٌ عليه فلا خرافات ولا فلسفات ولا تعقيد، وهو أقوى قطعاً من التثليث النصراني، المنافي للفطرة ولمبادىء الرياضيات.

ثورة المعلومات

في هذا العصر بحيث يتاح لكل إنسان معرفة ما يقوله الدعاة وما يقوله أعداء الإسلام.

التجربة التاريخية

فكل الشعوب تاريخيا دخلت في الإسلام أو دفعت له الجزية وأتيح لكثير منها التنعم بعدله والعيش في ظلاله، فليس بجديد عليهم.

استعلاء الإيمان

فقد يعمل المؤمن خادما، وقد يكون فقيرا، ولكنه مؤمن؛ أن إسلامه خير من كفر غيره من أصحاب الترف.

التقارب

فقد أصبح العالم اليوم قرية إعلامية صغيرة، يكفيها رسول واحد وكتاب واحد وقبلة واحدة.

حرية الفكر والفضول المعرفي لدى الغرب

لا سيما والفرد الغربي يتمتع بحرية لا نظير لها في الشرق، وهذا الفضول يدفعهم للتعرف على الإسلام.

سنة الله

في إهلاك الظالمين وإزالة المفسدين، وهي سنة مطردة في الحياة البشرية عامة.

أفول وصعود

أُفول كل الحضارات غير الإسلامية اليوم وبداية صعود المسلمين، حتى في الجوانب التقنية التي تفوق فيها الغرب علينا، ومن الأمثلة لهذا الصعود "تركيا" و"ماليزيا" و"باكستان" و"مصر" و"العراق" وغيرها، أضف إلى ذلك الإبداع الفكري لدى أهل الشام.

تأثير الحرب على الاسلام

الحرب على الإسلام في الغرب وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في أول الجواب الصحيح وفي مجموع الفتاوى: أن سنة الله إذا أراد إظهار دينه أن يقيم له من يعارضه، والمسلمون كلما اشتدت عليهم الحرب، واستهدف الكفار دينهم، كانت عودتهم له ومعرفتهم به أكثر(6) .

أرض خصبة لاستقبال سمو الاسلام

ومن علامات سمو الحضارة الإسلامية ورسوخ قيمها وأن المستقبل لها بإذن الله، أن الناس في أمريكا الجنوبية مثلاً يكرهون سياسة أمريكا وإسرائيل ولهم صفات كلها في صالح المسلمين نذكر منها:

- نفورهم من الخرافات الكاثوليكية، ومنها خرافة التثليث والوساطة بين الله وخلقه والاعتراف للمخلوق، وصكوك الغفران والأسرار، وأمثال ذلك مما تتلطخ به الكاثوليكية قديما وحديثاً.
- العودة للأصول فهم من أصل "موريسكي أندلسي" وكثير منهم مغاربة، ونعني بذلك المسلمين الذين تنصّروا قهرا.
- التقارب اللغوي؛ فهم يتكلمون الاسبانية والبرتغاليه اللتين هما لغات أندلسية وفيهما آلاف الكلمات العربية.
- هم مع هذا التقارب الاجتماعي واللغوي يشبهون العرب كثيرا في الخلقة، وكثيرا ما حسبتهم مغاربة، ولا مانع عندهم أن يحكمهم أي عربي كما حكمهم عبد المنعم كارلوس.
- أكثر من يُسْلم في الولايات المتحدة منهم وهم سكان أكثر الولايات الجنوبية(7).

ومن علامات أن المستقبل للإسلام انهيار هذه الحضارة الغربية وتدهورها.

خطاياهم تدمرهم!..

ومما يدل أي باحث على انهيار الحضارة الغربية أن أكثر دول الغرب تقدماً في التقنية "أمريكا" تعصف بها اليوم أزمات أخلاقية واجتماعية تؤذن بسقوطها، مع أنها أكثر دول العالم اشتغالا بالدين كما يقول "ادوارد سعيد" وهي في الوقت نفسه أكثر الدول الغربية تأثرا بالتراث اليهودي كما قال وزير التعليم البريطاني..

وتجتمع فيها أسباب الهلاك التي أهلك الله بها القرون الماضية ففيها مكر قوم نوح وطغيانهم، وفيها جبروت عاد واستكبارها، وفيها ترف ثمود وعماها، وفيها خبائث قوم لوط وسيئاتهم، وفيها تطفيف قوم شعيب وظلمهم، وفيها عتو فرعون وإفساده، وفيها ربا اليهود وسحتهم.

وكل واحد من هذه الأدواء كفيل بانهيار من يتصف به فكيف إذا اجتمعت؛ فما أحلم الله عليها، وما أغفلها حين تحسب الإمهال إهمالا والاستدراج استقرارا(8) .

ومما يبشر بأن المستقبل للإسلام وأهله أن الدعاوى الجاهلية أفلست كلها كالقومية والوطنية والاشتراكية والبعثية وأصبحت القضية إسلامية عامة.

بينما يتفكك الغرب ويعود لقومياته الجاهلية، مثلما انفصل البريطانيون عن الاتحاد الأوروبي، وأصبحت بريطانيا نفسها معرضة للتقسيم والتشرذم، وأصبحت أمريكا مهددة فعليا بانفصال بعض ولاياتها مثل "كاليفورنيا" و"تكساس" وأصبح سكان "قطالونيه" يريدون الانفصال عن أسبانيا، وأهل "كورسيكا" يريدون الانفصال عن فرنسا، أما بلجيكا فاحتمال انقسامها بحسب اللغة وارد جدا(9).

خاتمــة

إن للحق طريقه، وهو يشق الطريق الى الوجود والظهور، لكن الله تعالى يُنضج الأمور ويُجري الحياة على مأخذ الأسباب والمسببات.

وما يبدو من هزيمة أو توقف إنما هو إنضاج لما لا ترى، وتخليص الحياة من عوائق؛ لكن الله تعالى متمٌّ أمره ومظهرٌ دينه، شاء من شاء وأبى من أبى. كلمةُ الله ووعدُه الكريم.

....

1. " المسلمون والحضارة الغربية"، الشيخ سفر الحوالي، صـ 2420.
2. المصدر السابق، صـ 2426.
3. المصدر نفسه، صـ 2432.
4. المصدر نفسه، صـ 2436-2439.
5. المصدر نفسه، صـ 2438.
6. المصدر نفسه، صـ 2448-2449.
7. المصدر نفسه، صـ 2452.
8. المصدر نفسه، صـ 2453.
9. المصدر نفسه، صـ 2458.